الأنصارية عقيدة ومنهجا وفكرا

«يسألونك عن الأنصارية»

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

فرع الأزهر : شارع محمد عبده
خلف الجامع الأزهر
هاتف : 0 2 2 5 1 1 7 7 4 7

فرع المنصورة : عزبة عقل
بجوار جامعة الأزهر
هاتف : 0 5 0 2 3 5 7 9 7 9

@DarElollaa
Dar_elollaa@hotmail.com

لطلبات الشحن والتوصيل
داخل مصر : 01050144505

لطلبات الشحن والتوصيل
خارج مصر : +201032057053

للإطلاع على قائمة الإصدارات
قم بمسح الـ QR Code

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى:

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التصوير وغير ذلك دون الحصول على إذن خطي من المؤلف والناشر.

الأنصارية عقيدة ومنهجا وفكرا

«يسألونك عن الأنصارية»

تأليف

د. عبدالمحمود أبّو

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

أهدي هذه الطبعة من الكتاب؛ لروح الحبيب الراحل: الأستاذ؛ شيخ الدين جبريل؛ فهو أول شخص قام بنسخه بخط يده بعد أن أصدرته في عام ١٩٩٧م؛ فقد أرسل لي في عام ١٩٩٨م -على ما أذكر-فلما زرته؛ أشاد بالكتاب، وأخرج لي نسخة مخطوطة من الكتاب من عمله، وكان به حفيا. لذلك أهدي هذه الطبعة إلى روحه، وأسأل الله أن يتقبله في أعلى عليين. فقد كان عالما متخصصا في اللغة الانجليزية؛ وقد تخرج على يديه عدد كبير من نوابغ السودان، وكان متواضعا، ومحبا، ومعتزا بانتمائه للدعوة الأنصارية التي جددت للتدين شبابه؛ أسأل الله له الرحمة والمغفرة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

"بين يدي الكتاب"

إلى كل باحثٍ عن الحقيقة، وإلى كل سائرٍ على منهج الله، وإلى كل أنصار الله دعاة الحق وحماة الفضيلة؛ الصابرين على الشدائد والمشاق. إنّ دعوة الحق منصورة مهما طال لَيْلُ الباطل. . . قال الإمام المهدي عليه السلام: «إنّ ناري هذه أَوْقَدَها رَبِّي، وأَعْدائي حولها كالفراش؛ كلما أرادوا أن يُطفئوها أُحْرِقوا بها وصار أمري فاشياً».

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤].

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ

مقدمة الطبعة السادسة

الأنصارية التي اختارها الإمام المهدي عليه السلام مسمّىً للدعوة التي تبناها تجديداً للتدين، وإصلاحاً للفكر، وإحياءً لأحكام الإسلام وقيمه؛ رفدت المسيرة الإسلامية بمنهج يتضمن في داخله عوامل التجديد والمواكبة والمرونة التي تجعله قادرا على المحافظة على الأصل ومواكبة العصر دون تناقض أو إنكفاء أو استلاب.

هذا الكتاب – بالرغم من تواضعه – وجد استجابة من كثير من الأحباب والأصدقاء وأسأل الله أن يكون مقبولا عنده يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

هذه الطبعة السادسة أضفت إليها ما كتبه صديقي الدكتور الطبيب الإنسان: يحيى الشيخ علي العامرابي تقريظا للكتاب "يسألونك عن الأنصارية" الذي عدلته إلى "الأنصارية عقيدة ومنهجا وفكرا" للأسباب التي ذكرتها في مقدمة الطبعة الخامسة، وما كتبه الدكتور يحيى تحت عنوان "حوار مع كتاب يسألونك عن الأنصارية" وهو حوار فلسفي قيم يعتبر إضافة علمية للكتاب؛ ويجدني أتفق معه في مجمل ما ذهب إليه، أسأل الله أن يوفقنا جميعا لما فيه صلاح حالنا ومآلنا بالقول الحسن والفعل الحسن مع الإخلاص.

المؤلف

القاهرة/ صفر ١٤٤٦هـ – أغسطس ٢٠٢٤م

مقدمة الطبعة الخامسة

الأنصارية دعوة أعلنها الإمام المهدي عليه السلام في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي في السودان، والتف حوله معظم أهل السودان في تلك الحقبة بدوافع مختلفة؛ حيث قادهم إلى تحرير الوطن من الاستعمار، وإقامة دولة إسلامية تترسم خطى النبوة ومنهج السلف الصالح، وأعلن الإمام المهدي عليه السلام أنه جاء لإحياء الكتاب والسنة ولتصحيح المفاهيم ولتجديد أساليب الدعوة لتكون تعاليم الإسلام هي الحاكمة في حياة الناس الخاصة والعامة.

وسمى الإمام المهدي الذين آمنوا بدعوته وآزروه واتبعوا نهجه بالأنصار، استجابة للآية الكريمة في سورة الصف ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤]، وتيمنا بالأنصار الذين آووا رسول الله في المدينة، وتطلعا لمقام الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وإيمانا بوعد الله الأزلي: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

لقد حقق الإمام المهدي عليه السلام الأهداف التي أعلنها، وأقام دولة إسلامية وطد أركانها خليفة المهدي الخليفة عبدالله بن السيد محمد خليفة الصديق عليه السلام

أربعة عشر عاما؛ دولة لها تشريعها، ونظامها القضائي، ونظامها الإداري، وعملتها، وسياستها الخارجية؛ ولما تحالف المستعمرون لإسقاطها وساوموه للتخلي عن المبادئ التي التزم بها، أعلن بوضوح كلمته المشهورة "فلتذهب الدولة ولتبق الدعوة"؛ سقطت الدولة ولكن الدعوة ظلت متقدة تتجدد حقبة بعد حقبة مصداقا لمقولة الإمام المهدي عليه السلام: "ناري هذه أوقدها ربي وأعدائي حولها كالفراش كلما أرادوا أن يطفئوها أُحْرِقُوا بها وصار أمري فاشيا".

هذه الطبعة الخامسة للكتاب الذي أصدرته عام ١٩٩٧م تحت عنوان: "يسألونك عن الأنصارية" ولكني رأيت تعديل الاسم إلى "الأنصارية عقيدة ومنهجا وفكر" مع الاحتفاظ بالعنوان القديم لعله يكون إجابة للتساؤل، فقد تناول الكتاب معالم المدرسة الأنصارية ورؤيتها للبعث الإسلامي في هذا العصر.

هذه النسخة طبعت في القاهرة بجمهورية مصر العربية حيث الأزهر الشريف ومنهج الوسطية؛ أسأل الله أن يساهم في توضيح معالم هذه الدعوة ومبادئها ومرتكزات منهجها.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف

القاهرة / جمادى الأولى ١٤٤٥هـ - نوفمبر ٢٠٢٣م

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ما كنت أتوقع أن يجد هذا الكتاب القبول الذي وجده من عامة الأنصار، فقد كتبته دون أن تكون بين يدي المراجع اللازمة، بل كان عبارة عن تجميع لأفكار ومحاضرات كنت قد قدمتها في مواقع مختلفة، وبفضل من الله نفدت كل النسخ التي قمت بطباعتها، واستجابة لرغبة الأحباب أعيد طباعته الرابعة في العهد الجديد بعد زوال دولة الظلم التي شوهت صورة الإسلام وعطلت مسيرته.

أسأل الله أن يتقبل المجهود الذي بذل فيه وأن يتجاوز عن الأخطاء الذي وقعت فيها.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

المؤلف

صفر ١٤٤١هـ - الموافق أكتوبر ٢٠١٩م

مقدمة الطبعة الثالثة

هذا الكتاب أُلِّف قبل عشرين عامـًا؛ فقد تعرضتُ لحادث حركةٍ أواخر عام ١٩٩٦م أدَّى إلى كسرٍ في رجلي اليُسْرَى وثلاثة أضلاع وانخلاع الترقوة؛ ولزمت السرير الأبيض ستة أشهر؛ وقد استثمرت ذلك الحبس في تأليف هذا الكُتَيِّب بعنوان "يسألونك عن الأنصارية " وقد طبع عدة طبعات نفدت كلها؛ ثم تكفل صديقي الحبيب عبدالرحمن مخاوي؛ بإعادة طباعته مرات عديدة؛ وبعد تعديل طفيف طبعه مرة ثانية في أكتوبر ٢٠١٧م وخلال هذه المدة حدثت عدة أحداث وتطورات على مستوى الفكر والدعوة؛ جعلتني أقوم بمراجعة للصياغة والأفكار، وإضافة مواضيع مهمة فيما يتعلق بمفهوم الدولة الذي يتبناه الأنصار؛ وتوسيع بعض فصوله؛ وهذه المقدمة للطبعة الثالثة التي تكفل الحبيب عبدالرحمن مخاوي بطباعتها مشكوراً؛ وفضلاً عما سبق أضيف؛ أن دعوة الأنصار؛ تُعتبر امتداداً للدعوة المهدية امتداداً شرعيـًا، والمهدية تعتبر صانعة للسودان الحديث، ورائدة لحركات الإصلاح في العالم الاسلامي وإن جحدها كثير من الناس، فقد أحدثت المهدية تحولاً كبيراً في السودان، وتأثَّر بها المسلمون ودعاة التحرر من الصين حتى غرب أفريقيا.

لقد جاءت المهدية بمفاهيم جديدة في مجال الفكر والممارسة والحياة؛ وأثبتت عمليـًا قدرة الاسلام على إحداث التغيير ومواجهة التحديات في كل عصر:

– كان مفهوم الإحياء أبرز شيء في فكر المهدية؛ فقد جاءت في وقت تحوَّل فيه الدين إلى طقوس، والتَّدَيُّن إلى رَهْبَنَة، والعبادة صارت حركات بلا روح، والقرآن اختُزِل في تعاويذ وأحجية! فكان لا بد من تثويرٍ للمفاهيم، فجاء الإحياء بمفهومه الواسع (أنا عبد مأمور بإحياء الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيما) وبهذا استطاعت المهدية أن تغير الواقع، وتستنهض الهمم، وتشحذ العزائم، وتواجه تحديات تلك المرحلة بجدارة.

– لم تكن المهدية حركة دراويش كما وصفها خصومها بل كانت تباشر عملها بتخطيط، ووعي، وإدراك للظروف الاقليمية والدولية المحيطة بها؛ فَتَمَرْحُل العمل، والتَّدَرُّج، وتنظيم الخطط الحربية، والخروج من أبا بعد أول معركة، واختيار مكان وزمان المعركة في شيكان، والزحف على الخرطوم من الغرب، وإقامة دولة المؤسسات؛ كل ذلك يؤكد ما ذهبنا إليه، ولم يُهمل الإمام المؤسس شاردة ولا واردة إلا واهتم بها؛ حتى أنه أصدر منشوراً يدعو فيه إلى تحسين الخط وتجويد الكتابة!

– كل المفاهيم الجديدة التي تتبنتها تيارات الإصلاح الحديثة؛ كانت بشكل أو بآخر تشكل حضوراً في فكر المهدية. فالإمام المهدي دعا الى التمييز بين الثابت والمتحرك في تعاليم الاسلام، ونهى عن التقليد، ودعا الى تجاوز التَّقَيُّد المذهبي، ووضع القاعدة الذهبية للاجتهاد (لكل وَقْتٍ وَمَقامٍ حال ولكل زمانٍ وأوان رجال) هذا الإرث يمثل أصول المرجعية الفكرية للأنصار، وتمشيـًا مع مفهوم الإحياء والتجديد والاجتهاد؛ كوَّن الأنصار مؤسسةً لتقُوم بأمْر الدعوة تخطيطـًا وتقويمـًا وتنفيذاً؛ تلك المؤسسة هي هيئة شؤون الأنصار للدعوة والإرشاد؛ كان عطاء الهيئة في مجال الفكر مميزاً ويتمثل في الآتى:

١) انطلقت الهيئة من مفهوم أنّ الاسلام جاء ديناً خاتماً مكملاً للرسالات قبله، متضمناً لأصولها الأربعة: التوحيد، والعدل بين الناس، والبعث، والجزاء الأخروى. فالعلاقة بين الاسلام والرسالات السابقة علاقة تكامل وليست علاقة تقاطع.

٢) التمييز بين الثابت والمتحرك من أحكام الاسلام؛ فالأحكام الثابتة محصورة في العقيدة، والعبادات، وأصول الأخلاق، وأما المعاملات فأحكامها متحركة، ومتغيرة، حسب ظروف الزمان والمكان والأحوال.

٣) شمول الرسالة الاسلامية لكل المطالب الفطرية؛ فالإنسان يحتاج لإشباع موزون لعشرة مطالب: روحية، ومادية، وخلقية، ومعرفية، وعقلية، وعاطفية، واجتماعية، ورياضية، وترفيهية، وبيئية. ولذلك جاء خطاب الهيئة مستجيباً لهذه المطالب، انطلاقاً من المرجعية الاسلامية، حتى لا يضطر المسلم لإشباع بعض حاجاته خارج الاسلام.

٤) التسامح مع الآخر؛ فالإسلام انتقد العقائد المنحرفة ولكنه لم يأمر باستئصالها؛ بل وضع تشريعاً للتعامل معها وفق قاعدة ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف: ٢٩].

٥) استصحاب العطاء الإنساني النافع؛ على أساس أن الإسلام لم يُلغ دور الانسان؛ بل استصحب كثيراً من القيم الانسانية النافعة، وأشاد بكل ما هو إيجابي بغض النظر عن مصدره؛ مثل حلف الفضول، وحفر الخندق، وتدوين الدواوين؛ وغيرها من إيجابيات العطاء الإنساني، وفق قاعدة: "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها".

٦) نظام الحكم في الاسلام يقوم على فرائض سياسية؛ تتمثل في: الحرية، والشورى، والمساواة، والعدالة، والوفاء بالعهد. ولا يوجد شكل معين للحكم ملزمًا للمسلمين؛ بل يجوز لهم أن يضعوا أي شكل يحقق تلك المبادئ وفق ظروف الزمان والمكان.

٧) الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فالإسلام دين يرفض الاكراه والتسلط، ويدعو إلى الاقتناع، وقد أعطى الانسان مطلق الحرية ليختار، ومهمة الرسل محصورة في التبليغ والتبيين وليس القهر، وعلى الدعاة أن يقتدوا برسل الله المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

هذه المبادئ تمثل المرجعية الفكرية لهيئة شؤون الأنصار التي تنتمي إلى مدرسة الوسطية في الفكر الاسلامي؛ وهي منطقة وسطى بين الإنكفاء والاستلاب، -وكلاهما مذموم-؛ إنها مدرسة توفق بين الأصل والعصر، وبين العقل والنقل، وبين الواجب والواقع؛ إنها قراءة واعية للكتاب المسطور(القرآن) والكتاب المنظور(الكون).

المؤلف

صفر ١٤٣٩هـ الموافق نوفمبر ٢٠١٧م أم درمان

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

حوار مع كتاب يسألونك عن الأنصارية للدكتور يحيى العامرابي

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

حوار فلسفي عن الأنصارية على ضوء كتاب (يسألونك عن الأنصارية)

مخاطبة العقل مبصرة؛ لأنها تعتمد على مقدمات (أو معطيات) تقود إلى نتائج، ومخاطبة العاطفة عمياء؛ لأنها تعتمد على مسلمات قد يقبلها العقل أو يرفضها.

بهذه المقدمة أرجو أن تأذن لي بمناقشة الأنصارية على ضوء كتابكم (يسألونك عن الأنصارية) بلسان من لا علم لديه بالأنصارية في حوار فلسفي بعيد عن العاطفة.

هذا الحوار يمثل رأيي الخاص وقناعاتي، أرجو أن تجد لي العذر لو أخطأت، فأنا ليس بفيلسوف ولا عالم، لكني من عوام المسلمين وهاوٍ للعلم الذي أساسه الفلسفة. وأنا أحب التحدث معك؛ لذا أكتب إليك، وأشكرك لطلبك معرفة رأيي.

يتضمن هذا الحوار:

١. عنوان الكتاب (يسألونك عن الأنصارية)

٢. المهدي والمهدية

٣. التغيير الذي أحدثه الامام المهدي وهل يصلح لهذا الزمان؟

٤. الأنصار والأنصارية

٥. هل الأنصارية هي التغيير الذي أحدثه الإمام المهدى؟

٦. قاعدة (لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال)

- هل قابلة للإنحسار أم للإنتشار؟
- هل تقود للتقدم أم للتخلف الحضاري؟
- من هم الرجال؟

٧. الأنصارية فكر أم طائفة.

٨. وأختتم بحاشية خارج إطار هذا الحوار

يسألونك عن الأنصارية: من الذين يسألون؟ هل كل الناس، عامة المسلمين، الخواص من المسلمين، أم خواص الخواص؟

المهدي والمهدية

أستدل المؤلف في الباب الأول بأحاديث تبين وصف ونسب المهدي، كما أستدل بآيات قرآنية تدل على وظيفة جماعة أو أمة (النهي عن الفساد، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، والإستخلاف في الأرض). هذه الوظيفية فرَّقت عامة المسلمين في تعريف وتوصيف المهدي (أهل السنة بتوصيفاتهم، الشيعة بمفاهيمهم المغالية، والصوفية بمفاهيمهم الباطنة) وجعلت بعض الذين يواطئ

اسمهم اسم النبي ﷺ ومن عترته؛ يدعون المهدية. المهدي كأمر غيبي ليس ضمن هذا الحوار الذي يعتمد على الاستدلال من عالم الشهادة.

عرف المؤلف المهدية (في الباب الثاني) بالوظيفة، هذا التعريف في رأيي صواب؛ لأنه يجعل بالإمكان لكل عاقل قياس (الوظيفة أو الفعل) سواء أكان من المسلمين أو من غيرهم، وبهذا القياس شهد بعض علماء المسلمين للمهدية في السودان بأنها حركة إصلاح ديني وسياسي واقتصادي واجتماعي، وأعترف بعض الأوربيين بعطائها.

الفضل لتأطير المهدية بهذا المفهوم يرجع لمحمد أحمد المهدي في السودان الذي أقر مهديته وبيَّن ما يؤيد قراره بأنه المهدي المنتظر، وإنه عبد مأمور. البعض (بدراسة نشأته وصفاته وأخلاقه وسيرته) أخذ بدعوته وآزره ونصره، والبعض الآخر أنكر عليه دعوته. المهدي المنتظر، في رأيي تعني لعامة المسلمين (المهدي الذي ينتظرون)، وإعلان المهدي بأنه (المهدي المنتظر) هو تكريس لهذا المعنى ليكون لعامة المسلمين حجة لهم أو عليهم.

في هذا الزمن الأخذ بالفعل يتجاوز الفاعل، ونلاحظ ذلك في مثالين: الكل يسافر بالطائرة ومعه حبوب البنادول ويستعمل الجوال وليس لديه أدنى فكرة عن من توصلوا لهذا العطاء الإنساني الثر في العلوم الدنيوية (الطب، الفيزياء، الكيمياء، الرياضيات، الهندسة، الميكانيكا، الحاسوب، والتكنولوجيا). والكل يأخذ بالحكمة ويجهل مصدرها من العلوم الإنسانية (علم النفس، الاجتماع، التاريخ)، والعلوم المعيارية (المنطق والفلسفة) والعلوم الدينية (التشريع والأحكام). وفي الحديث الشريف (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق

الناس بها)[١].

دعنا نحكم على التغيير الذي أحدثة الإمام المهدي، فقد ذهب الفاعل (المهدي) وبقي فعله ليحكم عليه أهل العقل من بعده.

السؤال الراهن –ما هو التغيير الذى أحدثه الإمام المهدي؟

الشركات المصنعة للأدوية لا تحتاج لأن يمرض العالم كله بداء معين حتى تستطيع إنتاج دواء لهذا الداء، ويكفي أن يكون الداء في قلة قليلة بدرجة ضئيلة لتنتج دواء وتحصن من هذا الداء لتستفيد منه البشرية جمعاء. الظروف التي أعلن فيها الإمام المهدي مهديته في السودان كانت سيئة في كل النواحي، السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع تفشي الظلم والجور والفساد والقسوة من الحكام وتفشي الفقر والجهل والمرض والرذيلة وسوء الأخلاق بين الناس.

شخَّص (بتشديد الخاء) الإمام المهدي هذا الداء الاجتماعي ووجد سببه الإنحراف عن تعاليم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأن الإسلام عند المهدي هو وسيلة لإسعاد الناس لا لشقائهم وتقدمهم لا لتخلفهم وإقامة القسط والعدل لا لظلمهم.

ذكر المؤلف أن المهدية وظيفة استندت على تعاليم وأحكام الإسلام لإقامة العدل والقسط في كل مناحي الحياة؛ لينعم الإنسان بالجانبين الروحي والمادي من الحياة.

---

(١) – رواه الترمذي وابن ماجة

إذن الإسلام بتعاليمه وأحكامه هو الطريق عند الإمام المهدي لإقامة العدل والقسط. وهنا يتبادر سؤال للذهن-كيف؟؟

لم يأت المهدي بدعوة جديدة ولا بإسلام جديد، لكنه وجد أن تعاليم الإسلام فيها الثابت كالعقيدة والعبادات، ومنها المتغير (أو المتحرك) الذي تتغير فيه أحكام الإسلام بتغير الزمن، ووجد أن الإنحراف عن الكتاب والسنة مرده إلى تعامل الفقهاء مع أحكام الإسلام المتغيرة ولذلك تعامل مع هذه الأحكام المتغيرة على قاعدة -(لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال).

بالتالي تتغير الأحكام الإسلامية (المتحركة) مع الزمن وتأخذ بحكم علمائه للتعامل مع المستجدات، وأخذ النافع من العطاء الإنساني (فلو لم تتغير الفتوى التي حرمت طباعة المصحف الشريف لظل القران الكريم إلى يومنا هذا حبيسا في صدور الرجال وعلى ألواح الخشب ولم يجد طريقه لأن يكون أعظم الكتب). هذه القاعدة هي جوهر دعوة الإمام المهدي للإصلاح الديني، وهذا الجوهر يميزها عن كل حركات الإصلاح التي سبقت، عاصرت أو تلت دعوة الإمام المهدي.

القاعدة (لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال) تحرر الفكر وتدعو للاجتهاد في أحكام الإسلام المتغيرة، بالتالي هي قاعدة للحركة والانفتاح ضد الجمود والانكفاء، وتأخذ بالنافع من العطاء الإنساني وتترك الضار وتمنع الاستلاب الكامل للحضارة الغربية لتستوفي الضرورات الكاملة لحقوق الإنسان الفطرية (في الأدب والثقافة والفنون والجماليات والرياضة)

وحريته في التعبير والتحرر من الخوف والحاجة.

إذن التغيير الذي أحدثه الإمام المهدي هو الإبقاء على الثابت في أحكام الإسلام والتعامل مع المتحرك منها. وهو دعوة وسطية تنبذ الغلو والانكفاء في الإسلام وتمنع الفرار منه والاستلاب للحضارة الغربية كرد فعل معاكس للغلو والانكفاء.

هل يصلح التغيير الذى أحدثه الامام المهدى لهذا الزمان؟

سمى الإمام المهدى أتباعه أنصار الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] ورباهم على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) كعقيدة وشريعة ومنهاج، حتى يضمن لكل أوان رجاله الذين يتعاملون مع المقام والحال. فكل من نصر الله وعاصر المهدي فهو من أنصار الله والمهدي، والذين ينصرون الله في أي زمان بعد الإمام المهدى هم الرجال الذين عناهم المهدي والذين يتعاملون مع المقام والحال. وبهذه القاعدة أقام المهدى الحجة على نفسه وعلى غيره إلى قيام الساعة.

دعوة الإمام المهدي ذات شقين روحي وإصلاحي وبذلك وسع المواعين حتى يستطيع المسلم أن ينهل من الحياة في ظل الإسلام بالقدر الذي يكفيه. وبهذا يكون الإسلام هو منهج للحياتين، الدنيوية والأخروية.

كل مؤهل (من أنصار الله) يؤكد على الثابت في أحكام الإسلام ويتعامل مع المتحرك منها لأي مستجد تحت أي ظرف في أي زمان، هو على نهج التغيير الذي أحدثه الإمام المهدى.

هل الأنصارية هي التغيير الذى أحدثه الإمام المهدى؟.

الإجابة بنعم. للذين عرفوا ماذا تعني كلمة (أنصار) وارتباطها بنهج التغيير الذي أحدثه الإمام المهدي، وبلا. لمن يجهل هذا الارتباط ويعتبر(الأنصار) طائفة من طوائف المسلمين ليغيب عنه جوهر دعوة الإمام المهدي على قاعدة (لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال) بشروطها ومتطلباتها.

دعوة الإمام المهدي تأخذ من السلف الصالح وفيها الزهد وتزكية النفس، وعرَّفت (بتشديد الراء) الجهاد، وضبطت الاجتهاد، وطبقا لخلاصة ما توصل اليه د. عبد الودود شلبي في كتابه (الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته-دار المعارف/ القاهرة/ ١٩٧٩ ص٢٤٨- من مراجع المؤلف) - تتمثل فيها كل حركات الإصلاح الإسلامي في الوقت المعاصر.

الإنحصار والإنتشار فى مناهج الدعوة

الفكر يجابه بالفكر ولا يقمع بالترهيب، ودرء الحجة بالحجة يحصر إحداهما وينشر الأخرى، الحق أبلج والباطل لجلج، ومن ليس معك فكريا ليس ضدك شخصيا.

قاعدة (لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال) كأساس للتفكير في الأحكام الإسلامية المتحركة ومنهج للدعوة تأخذ بالرأي ولا تنفي الرأي الآخر، لذلك ستجد القبول وبانتشارها ستحصر مناهج التفكير الأخرى وستتوحد الرؤى لغالبية أهل القبلة.

(إن دعوة أنصار الله لا تدعو للإسلام لتجاري به السحرة المحدثين وإنما تقدمه عصا موسى التي تلقف ما يأفكون- المؤلف، يسألونك عن الأنصارية، الطبعة الثالثة، ص٧)

التقدم و التخلف الحضاري فى مناهج الدعوة؟

أحب كثيرا أن أستبدل كلمة التقدم والتخلف بكلمتي المنتج والمستهلك للحضارة، المنتج للحضارة يتقدم على المستهلك للحضارة والفرق بينهما أن المنتج يملك الأسباب. أوروبا التي نراها اليوم كانت مستهلكة للحضارة الإسلامية في القرون الوسطى وأنتجت حضارتها اليوم عندما أخذت بالأسباب وجعلت الحضارة الإسلامية في موقع المستهلك.

المسلم المستهلك للحضارة يختلف عن غيره؛ لأنه لا يريد أن يأكل ويتمتع كما تأكل وتتمتع الأنعام بل يريد أن يتميز عليها بالشكر لله عز وجل.

قاعدة (لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال) كأساس للتفكير في الأحكام الإسلامية، تدعو للأخذ بأسباب الحضارة وتستصحب النافع منها وتترك الضار ليتمتع المسلم بالحياة في مضماريها المادي والروحي.

من هم الرجال ؟

الرجال المقصودين في قاعدة (لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال) هم المنوط بهم الاجتهاد في الأحكام الإسلامية المتغيرة لتواكب ركب التقدم الكوني حتى لا تناقض الواقع والفطرة السليمة. وهم في رأيي، مجلس شورى من علماء في العلوم الدنيوية الإنسانية، المعيارية، السياسية والاقتصادية، وممثلين لجمعيات حقوق الإنسان والمرأة والبيئة والفنون والثقافة، الفن والرياضة، بالإضافة لعلماء الدين الذين يضبطون العطاء الإنساني بما تقره الأحكام الإسلامية.

هذه الهيئة الشورية عليها الأخذ بالنافع من الحضارة والعطاء الإنساني كما يتوجب عليها الأخذ بأسباب العطاء الإنساني لتساهم في إنتاج الحضارة.

الأنصارية فكر أم طائفة؟

الأنصارية كفكر أشمل في المعنى من الأنصارية كطائفة، ولأي فرد الحق في تبني الفكر وليس بالضرورة أن يكون منتميا لطائفة.

فيما يلي اجتهادي الشخصي وقناعتي في تعريف الأنصارية، السبيل إليها، أهدافها وغاياتها.

تعريف الأنصارية:

الأنصارية هي دعوة فكرية تقوم بها هيئة شورية للحكم على المتغير من الأحكام الإسلامية على قاعدة (لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال) مبنية على حرية التفكير والتسامح مع الاخر وتقبل الرفض أو القبول من الغير.

السبيل اليها: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

أهدافها:

١. التأكيد على الثوابت في أحكام الإسلام التي تربط علاقة الإنسان بخالقه، ومراجعة المتغير من أحكام الإسلام التي تحكم علاقة الإنسان بالحياة، وأخيه الإنسان والعطاء الإنساني.

٢. التوفيق بين الواجب (في كتاب الله المقروء-القرآن) والواقع (في كتاب الله المنظور-الكون) للتوفيق بين الأصالة والحداثة لتوافق الآيات القرآنية الآيات الكونية.

٣. تصحيح مفهوم الدولة في الإسلام.

٤. كيفية التعامل مع غير المسلمين في شخوصهم ورؤاهم.

غاياتها:

١. القيام بالقسط بين الناس.
٢. تحقيق الاستخلاف في الأرض.

❍ حاشية خارج الحوار:

هل حان الوقت للتصدى بجرأة لكل الفتاوى التي تناقض الفطرة السليمة و الواقع؟

هذه الفتاوى هي الداء الذي أدى إلى الهجمة الشرسة على الإسلام والسخرية منه ونعته بالتخلف. هذا الداء أدى إلى تمدد طرفي النقيض في الإسلام (التشدد فيه والخروج منه)، فازداد الداء استفحالا.

هل آن الوقت لنعالج هذا الداء بوصفة الأمام المهدي عليه السلام؟.

أخيرا: إنكم مع الإمام الصادق المهدى وجميع الأحباب بهيئة شئون الأنصار تحملون على عاتقكم مسئولية كبيرة وأحسب أنكم أهلا لحملها.

ونحن لا نملك لكم إلا الدعاء، أسأل الله لكم التوفيق والسداد.

محبكم في الله المفتقر إليه،

يحيى علي الشيخ العامرابي،

في ٢٤ يناير ٢٠١٨ م مكة المكرمة.

ꕥ

تمهيد

في دنيا الناس حضارات سادت ثم بادت، وفي دنياهم كذلك دعوات وأفكار انتشرت وهيمنت ثم اندثرت؛ ولكن دعوة الحق مهما طال زمانها، وتكالب عليها الأعداء، وأحاطت بها الظروف، وأصاب أهلها الاسترخاء والضعف؛ فإنها ما تلبث أن تنهض قوية تضيء الطريق للسالكين.

إنّ رسالة الإسلام جاءت في مرحلة النُّضج الإنساني، ولذلك فهي اشتملت على أصول الرسالات قبلها مثل: التوحيد، والعدل، والعمل الصالح، والإيمان بالبعث والجزاء الأخروي؛ وامتازت عليها بالختام، والعموم، والتيسير، وصلاحية التطبيق في كل زمان ومكان وحال. وهي موعودة بالنصر وإن أصابها الضعف حينًا بسبب تفريط المؤمنين بها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

إنّ الله يصطفى بعض عباده ليقوموا بالانتصار للدعوة بالحجة والبيان، والاجتهاد والجهاد؛ فيزيلوا عنها الشوائب ويقدمونها حية فتية ناصعة، تُقنع كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

إنّ دعوة أنصار الله؛ دعوة تجديدٍ لشباب الإسلام، وإحياءٍ للكتاب والسنة في الحياة الخاصة والعامة، وتقديم الإسلام للإنسانية دينا هاديا، مخرجًا لها من الظلمات إلى النور؛ في وقت قرّبت فيه وسائل الاتصال بين أطراف العالم حتى

أصبح الكون المعمور كالقرية الواحدة! وانتشرت في عالم اليوم الأفكار والنظريات والحضارات وتنوعت بصورة لم يسبق لها مثيل.

إنّ دعوة أنصار الله لا تدعو للإسلام لِتُجَارِي به عِصِيّ السحرة المُحْدَثِين، وإنما تقدمه عصا موسى التي تلقف ما يأفكون.

الفصل الأول

المهدية في الإسلام

أولاً: تعريف بالمهدية

المهدي لغة هو اسم المفعول من "هدى" وفي لسان العرب: (الهدى ضد الضلال؛ وهو الرشاد، وفي الحديث "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) (١) فالمهدي: (الذي هداه الله إلى الحق، وقد استعمل لفظ المهدي في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة) (٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك مَن عاش منكم أن يلقى عيسى ابن مريم إماماً مهدياً، وحكماً عدلاً) (٣).

قال ابن الأثير: (المهدي الذي قد هداه الله إلى الحق ويراد به "الخلفاء الراشدين" أبابكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم؛ وإن كان عاماً في كل من سار سيرتهم) (٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٦) وأبوداود (٤/ ٢٠٠) والترمذي (٥/ ٤٤) وابن ماجة (١/ ١٦) والدارمي (١/ ٤٥) وقال الترمذي "حديث حسن صحيح".

(٢) لسان العرب (١٥/ ٣٥٣-٣٥٤).

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ٤١١).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٥٤).

إن عبارة المهدي بمعناها الديني واللغوي؛ هو: رجل هداه الله فاهتدى؛ وهي عبارة قديمة في اللسان العربي، وقد جرى استخدامها في نصوص الأدب العربي العريقة، قال حسان بن ثابت في رثائه لرسول الله ﷺ:

مـــا بَـــالُ عَيْنِـــي لاَ تَنَـــامُ كَأنمَـــا كُحِلَـــتْ مَآقِيهَـــا بِكُحْـــلِ الأرْمَـــدِ

جَزعًـا علـى المهـدي أصْـبَحَ ثَاوِيًـا يَـا خَيْـرَ مَـن وَطـئ الثَّـرَى لاَ تبعـد (١)

والقرآن يشتمل على آيات تدل على تكليف أناس بأمر الهداية العامة محاربة للضلالات: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]، ففي تفسير هذه الآية روى ابن كثير الآتي: قال مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن عبد الملك ابن عمير، عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلاً. ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عني، فسألت أبي ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال؛ قال: كلهم من قريش). ورواه البخاري من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير به قال ابن كثير: وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادل. وليسوا بأئمة الشيعة، فإن كثيراً من أولئك لم يكن لهم من الأمر شيء. فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش، يَلُون فيعدلون، وقد وقَّت البشارة بهم في الكتب المتقدمة، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين؛ بل يكون وجودهم في الأمة متتابعًا ومتفرقًا. وقد وُجِد منهم

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٦٩).

أربعة على الولاء؛ وهم أبوبكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي؛ رضي الله عنهم. ثم كانت بعدهم فترة. ثم وُجِد منهم ما شاء الله. ثم قد يوجد منهم من بقي في الوقت الذي يعلمه الله تعالى. ومنهم المهدي الذي اسمه يطابق اسم رسول الله ﷺ، وكنيته كنيته؛ يملأ الأرض عدلاً وقسطـًا؛ كما ملئت جوراً وظلمـًا (١).

وثمة آيات أخرى؛ تشير إلى هذا المعنى؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] قال فخر الدين الرازي: الشهيد المقصود هنا؛ ليس هو الذي قتله الكفار، بل نقول: الشهيد فعيل بمعنى الفاعل: وهو الذي يشهد بصحة دين الله تعالى؛ تارة بالحجة والبيان، وأخرى بالسيف والسنان، فالشهداء هم القائمون بالقسط، وهم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ [آل عمران: ١٨](٢) وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار: في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] أنّ الشهادة التي تقوم بها حجة أهل الحق على أهل الباطل؛ تكون بالقول والعمل والأخلاق والأحوال، فالشهداء هم حجة الله

(١) تفسير القرآن العظيم؛ للإمام الجليل الحافظ عمادالدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة (٧٧٤هـ) المجلد الثالث صفحة (٣٠١) دار إحياء التراث العربي - شارع سوريا - بناية درويش - بيروت؛ (١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م) هذه الرواية حذفت من الطبعات الجديدة لتفسير ابن كثير مما يؤكد عدم الأمانة العلمية.

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب؛ للإمام فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي(٥٤٤- ٦٠٤) المجلد الخامس الجزء العاشر ص (١٥٤) المكتبة التوفيقية الطبعة الثالثة (٢٠١٥م) القاهرة.

تعالى على المبطلين في الدنيا والآخرة بحسن سيرتهم، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [هود: ١١٦] ، وقال: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]، هذه الآيات صريحة في تكليف أفراد بالهداية والرشاد. ورُوِيَت أحاديث عن رسول الله ﷺ تُطابِق هذا المعنى نحو قوله ﷺ: (إن الله ليبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[١]. إن الإيمان بالمهدي المنتظر مُجدداً للدين، ومُحْيِيـًا لما اندثر من سِيَر المرسلين؛ من عقائد الإسلام الثابتة بالكتاب والسنة. "فمن مقتضيات الشهادة؛ الإيمان بمحمد رسول الله، ومن مقتضيات الإيمان به رسولاً؛ طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعْبد الله إلا بما شرع، وكذلك من مقتضياتها الأولية تصديقه ﷺ بكل ما أخبر[٢] ومع أن القرآن لم يُشِر صراحة لأمر المهدية إلا أنه أمر باتباع الرسول في القول والفعل قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ ﴾ [الحشر: ٧]، فطاعة الرسول فيما أخبر به، وتصديقه فيما يقول؛ أمر أوجبه الله في كتابه. وقد بَيّن الرسول ﷺ: ظهور المهدي الذي يُجَدِّد الدين وينتصر له؛ فاتباع المهدى

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٩١).

(٢) المهدي وفقه أشراط الساعة ؛ تأليف الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم صفحة (٨) الطبعة الثانية (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) الدار العالمية للنشر والتوزيع - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

وتصديقه؛ طاعة لله ورسوله. بل إن القرآن يأمرنا أن نجيب داعي الله، وأن نؤمن به قال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣١-٣٢].

إنّ داعي الله حسب منطوق الآية السابقة؛ هو كل من دعا إلى الله بصدق وإخلاص؛ إحياءً للدين، ودعوةً إلى الحق، وإن لم يكن رسولاً ولانبيـًا؛ قال الإمام المهدي: (إنّ الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا وعليكم طاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ؛ وقال محرضا على ذلك: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] فكل رسول مضى، ونبي سلف، وإمام سبق؛ إلا وقد فرض الله تعالى على أهل قرنه وزمانه طاعته، واتباعه، ولزوم أمره، ونهيه، وما هلك من هلك إلا بمخالفة رسلهم وأنبيائهم وأئمتهم فصاروا هالكين في الدنيا وليس لهم حجة عند الله في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] لكونهم أرسلهم إلى إرشاد خلقه، وأذن في الاقتداء بهم لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠] فإذا علمتم ذلك فمن خالف إمام قرنه وزمانه؛ فقد خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين)[1].

فكل مجدد لدين الله بإحياء أحكامه؛ هو داعٍ إلى الله قال تعالى لرسوله:

(١) الآثار الكاملة المجلد الأول ص (١٨٠).

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] وقال ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)(١) هذه كلها أدلة تبين أن الله سبحانه وتعالى سوف يحفظ دينه بأشخاص من عباده، يصطفيهم ليكونوا حجة في الأرض بجهادهم، واجتهادهم، وصدقهم، وإخلاصهم؛ ينيرون الطريق، ويميزون بين الحق والباطل، فيقتدي بهم الناس. قال ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)(٢).

وخلفاء الرسول ﷺ غير محصورين في الأربعة؛ وإنما سيوجدون في كل وقت حتى قيام الساعة.

ثانياً: الأحاديث الصحيحة الواردة في شأن المهدي

الحديث الأول: عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا، قال: ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وعدوانًا) (٣).

الحديث الثاني: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي مِنِّي أَجْلَى الجبهة، أَقْنَى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وجوراً، ويملك سبع سنين) (٤).

---

(١) رواه البيهقي.
(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
(٣) رواه احمد وابن حبان والحاكم وأبو نعيم في الحلية.
(٤) رواه أبوداود (٤/ ١٠٧) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٧).

الحديث الثالث: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث؛ فسألنا نبي الله ﷺ فقال: (إنّ في أمتي المهدي يخرج، يعيش خمسـًا، أو سبعـًا، أو تسعـًا (الشك من راوي الحديث) قال: قلنا وما ذاك؟ قال: سنين، قال: فيجيء إليه الرجل فيقول: يامهدي أعطني، أعطني، قال: "فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله) (١).

الحديث الرابع: عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة) (٢) وقوله "يصلحه الله في ليلة" يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المراد بذلك أن الله يصلحه للخلافة أي: يُهَيِّئُهُ لها.

والثاني: أن يكون متلبسـًا ببعض النقائص، فيصلحه الله ويتوب عليه (٣) وهذا المعنى هو الذي قرره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: "ومعنى قوله "يصلحه الله في ليلة"؛ أي يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه رشده، بعد أن لم يكن كذلك (٤).

الحديث الخامس: عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المهدي من عترتي، من ولد فاطمة) (٥).

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٣٣) في الفتن ورواه الإمام أحمد في المسند.
(٢) أخرجه ابن ماجة (٢/ ٥١٩) والإمام أحمد في المسند (١/ ٨٤).
(٣) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر؛ ص (٢٦٣).
(٤) البداية والنهاية (١/ ٤٣).
(٥) رواه أبوداود (٤/ ١-٧).

ثالثاً: المهدية والمدارس الإسلامية

عقيدة المهدية معروفة عند المسلمين؛ قال ابن كثير: "وأظن أن ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم، كما دلت على ذلك الأحاديث"(١). وبناء على ذلك نجد كثيرا من الفرق الإسلامية استناداً إلى ما قاله رسول الله ﷺ عن المهدي في الأحاديث السابقة. وكثيرا من المسلمين المؤمنين بعقيدة المهدية؛ لم يتفقوا على رؤية موحدة، ولا تصور واحد حول المهدية؛ بل تفرقوا إلى مدارس عدة تتلخص في الآتي:

(أ) هنالك ثلاث مدارس شيعية للمهدية؛ هي: المدرسة الإثنى عشرية: التي تنتظر الإمام الثاني عشر من العترة النبوية، من نسل الحسين بن علي باعتباره قائم آل محمد المنتظر. والمدرسة السبعية: التي تقف عند حد الإمام السابع من نفس السلسلة؛ وهو إسماعيل بن جعفر الصادق؛ مع اختلاف في أنّ الإثنى عشرية يرون إمامة موسى الكاظم بعد جعفر الصادق. والمدرسة الشيعية الثالثة: هي الزيدية: المنتسبة لزيد بن علي زين العابدين بن الحسين (٢).

(ب) الصوفية: لهم تصور لدولة غيبية؛ بأوتادها، وأبدالها، وأقطابها، وغوثها؛ وقالوا المهدي هو الساعد الأيمن للنور المحمدي؛ على حد تعبير ابن عربي.

(ت) بعض علماء أهل السنة ذكروا ثلاثة تصورات للمهدية: قول ابن كثير: الذي ذكر بأن أمر الناس ماضٍ ما وليهم اثنى عشر خليفة والمهدي منهم.

---

(١) نهاية البداية والنهاية (١/ ٣٧).

(٢) يسألونك عن المهدية ؛ تأليف الإمام الصادق المهدي ؛ بتصرف

والمدرسة التي ترى ظهور مهدي في كل رأس قرن. والتصور القائل: بأن المهدي علامة من علامات الساعة الكبرى.

(ث) الفلاسفة: وهم القائلون بالمدينة الفاضلة الخالية من الشرور والصراعات؛ والتي على قمتها المهدي.

وكما ترى؛ فإن التصورات عن المهدي والمهدية، مختلفة بين المسلمين؛ والسبب في هذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف الروايات والآثار المنسوبة إلى الرسول ﷺ حول المهدي؛ والاختلاف في فهم هذه الروايات كما هو الشأن في كثير من الآيات والأحاديث التي تحتمل عدة معاني.

الفصل الثاني
المهدية في السودان

نشأة وتصور المهدية في السودان

إنّ دعوة الإمام المهدي في السودان؛ جاءت بتصور للمهدية يخالف تصورات الفرق الإسلامية السابقة؛ إنَّه تصور يقوم على أساس؛ أن المهدية وظيفة لمليء مقعد الخلافة المصطفوية، وأنها حركة إحياء للدين بعد اندثاره. ولا ترتبط بتوقيت زماني، ولا بتحديد المكان، ولا بالمفاهيم الباطنية، ولا علاقة لها بالمفاهيم المغالية في النظرة إلى المهدي والمهدية.

إنّ المهدي ليس رسولاً ولا نبيـًا؛ بل هو عبد من عباد الله؛ اصطفاه الله وهيأه لتحمّـل مسئولية إحياء الدين؛ فاتصف بصفات لم تتوفر لغيره ممن هم دون الأنبياء والرسل والخلفاء الراشدين والمقربين من عباد الله الربانيين، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ولا دخل للبشر في مرادات الله؛ فهو وحده يفعل ما يشاء ويختار.

إنّ الأدلة على صدق الإمام المهدي فيما قال كثيرة؛ ويمكن تلخيصها في الآتي:

أولاً: ما صح من الآثار والأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ من صفات؛ توفرت فيه بصورة لا لبس فيها. قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان بن عيينة: حدثنا

عاصم عن زِرٍّ عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي) (١). فاسمه محمد أحمد وأبوه عبد الله.

ثانيـًا: واقع المسلمين في تلك الفترة كان يقتضي خروج منقذ للأمة؛ فقد وقعت بلدان المسلمين تحت سيطرة الاستعمار، وفسدت حياة الناس الخاصة والعامة، وانتشر الظلم والفساد، وفسد كثير من العلماء وصاروا مطية للسلاطين والحكام الظالمين، وضاعت السنن وعمت البدع، فكان خروج المهدى في ذلك العهد ضرورة دينية؛ ليعيد للدين دوره في الحياة وقد كان.

ثالثـًا: إنّ أمر المهدية غَيْبِيٌّ؛ والأمور الغيبية لا تخضع لضبط القوانين، ولا لتقديرات البشر. قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨].

رابعـًا: صفاته الشخصية كانت شاهدة على صدقه فيما قال من اصطفائه بالخلافة الكبرى؛ ومن تلك الصفات:

- حفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ العاشرة من عمره؛ ولم يكن حفظـًا ظاهريـًا فقط؛ بل كان يتفاعل مع القرآن ويعيش مع أحكامه وتجلياته بصورة لفتت إليه الأنظار.
- كان في هذه السن المبكرة؛ يتمتع بورع لفت نظر أقرانه؛ حيث كان يرفض الطعام الذي يقدم للطلاب من الخلوة! ويحتطب للنفقة على نفسه؛ ولما سئل عن ذلك قال: إنّ الخلوة تجد دعمـًا من الحكومة التركية، والحكومة

(١) رواه الإمام أحمد في المسند.

التركية تأخذ المال من الناس غَصْبًا؛ والرسول ﷺ قال: (كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنَ الحَرَامِ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) (١).

• رفض أن يضع طُعْمًا على آلة اصطياد السمك! ولما نوقش في ذلك؛ قال: إنّ السمك يسبِّح الله ولا يجوز غشه؛ لأن الرسول ﷺ قال: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) (٢).

• كان المهدي معروفًا منذ صباه بالصدق، والأمانة، والزهد، والتقوى والورع. لم يختلف أحد من أقرانه ممن ناصره أو عاداه في وصفه بتلك الصفات.

قال الشيخ محمد شريف نور الدائم، -وهو أستاذ المهدي الذي أنكر مهديته-، وكتب قصيدة يهجوه فيها: ذكر في تلك القصيدة صلاح المهدي وتقواه، وتواضعه، وحبه للعلم، وغير ذلك من الصفات الحميدة، قال في تلك القصيدة عن المهدي:

كَمْ صَامَ كَمْ صَلَّى كَمْ قَامَ كَمْ تَلَى مِنَ اللهِ مَا زَالَتْ مَدَامِعُهُ تَجْرِي
وكَمْ بِوُضُوءِ اللَّيْلِ كَبَّرَ لِلضُّحَى وكَمْ خَتَم القرآن في سُنَّةِ الوَتْرِ (٣)

وعندما اختلف الشيخ محمد أحمد مع أستاذه الشيخ محمد شريف في أمر ديني؛ طرده الأستاذ، وذهب لأخذ الطريق عن الشيخ القرشي ود الزين؛ وهو من الذين أخذوا الطريقة السمانية مباشرة من الشيخ الطيب، رحّب به الشيخ

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه مسلم.
(٣) جغرافية وتاريخ السودان؛ نعوم شقير.

القرشي ورد على مطالبة الشيخ محمد شريف بطرده. بالعبارة الآتية: "إنني رأيت الشيخ محمد أحمد مستحقا ومنع المستحق ظلم".

وإذا عهدنا في شخص صدقاً وأمانة؛ فنحن عادة نحتج بذلك على صحة ما يقول والعكس بالعكس.

قال الإمام الغزالي مؤيداً هذه الحجة: "لو فرضنا رجلاً بلغ وعقل ولم يجرب المرض، فمرض وله ولد مشفق حاذق بالطب، يُسمع دعواه في معرفة الطب منذ عقل، فعجن له ولده دواء فقال: هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك، فماذا يقتضيه عقله؟ وإن كان الدواء مراً كريه المذاق، أيتناوله؟ أو يكذب ويقول: أنا لا أعقل مناسبة هذا الدواء لتحصيل الشفاء ولم أجربه، فلا شك أنك تستحمقه"(١).

إذا كان الشيخ محمد أحمد صبياً صادقاً، صالحاً، أميناً، ولازمه ذلك الحال حتى قارب الأربعين؛ فإن ذلك السلوك حجة قوية لصدقه فيما أعلن"(٢).

- أما أخلاقه، فقد ذكرها إسماعيل عبد القادر الكردفاني في كتابه: سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي: قائلاً "كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا فاحش، ولا عياب، ولا مداح، قد ترك نفسه من المراء وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجى ثوابه، ولا يواجه أحداً بما يكره، يتفقد

(١) المنقذ من الضلال

(٢) يسألونك عن المهدية تأليف الإمام الصادق المهدي صفحة (٦٨).

أصحابه ويسأل عنهم، فمن كان غائبًا دعا له، ومن كان حاضراً زاره، ومن كان مريضًا عاده، وأفضل الناس عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة؛ لا يجلس ولا يقوم إلا عن ذكر، يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه؛ حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، وما جالسه أحد إلا صابره حتى يكون هو المنصرف عنه؛ وقد وسع الناسَ بَسْطُه، وخُلُقُه، فصار لهم أبًا، وصاروا عنده في الحق سواء؛ أوسع الناس صدراً، وأصدقهم لهجة، وألينهم خلقًا، وأكرمهم عشرة، لا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، متخلقًا بالقرآن المجيد، عاملاً بما فيه مع الاجتهاد في طاعة الله، والخضوع له، والانقياد لأمره، والشدة على أعدائه والتواضع، ولين الجانب، والرحمة لأوليائه، ومواساة عباده، وإرادة الخير لهم، والحرص على كمالهم، واحتمال لأذاهم، والقيام بمصالحهم، وإرشادهم إلى ما يجمع لهم خيري الدنيا والآخرة؛ ذا حلم، وصبر، وشكر، وعدل، وزهد، وتواضع، وعفو، وعفة، وتقوى، وحياء، ومروءة، وجود، وسماحة، وشجاعة، وصمت إلا عن ذكر الله، وتؤدة، ووقار، ورحمة للمؤمنين؛ وما وضع أحد فمه في أُذنٍ له؛ إلا استمر مصغيًا إليه حتى يفرغ من حديثه. أكثر الناس شفقة على خلق الله، وأرأفهم بهم؛ يركب الحمار ويردف خلفه، ويجلس على الأرض، ويأكل مع الخادم، ويحمل حوائجه بنفسه في السوق؛ يحب الطيب ويستعمله، ويحب من الثياب ما خشن، ومن الطعام ما خشن [1].

(١) سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي ؛ تأليف إسماعيل عبدالقادر الكردفاني؛ صفحة (٨٠) الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار الجيل - بيروت.

خامسـًا: تَطَابُق كثير من أحداث المهدية مع أحداث الدعوة الإسلامية في عصر النبوة؛ وتلك الأحداث هي:

(١) واقعة الجزيرة أبا الأولى؛ كانت أشبه بواقعة بدر الأولى، فقد كان عدد المسلمين في الواقعتين متطابقـًا؛ وكلتا الواقعتين حدثت يوم الجمعة، وبدر كانت في السابع عشر من رمضان؛ وأبا في السادس عشر أو السابع عشر من رمضان، على اختلاف الروايات؛ ومعركة بدر تعتبر أول معركة في الإسلام؛ وكذلك معركة أبا أول معركة في المهدية، وفي كلتا المعركتين نزل ماء من السماء ثبَّت الأرض للمؤمنين وكان وحلاً للأعداء، وتحقق النصر في الجزيرة أبا للأنصار رغم ضعف العدة مقارنة مع خصومهم، كما هو الحال في معركة بدر.

(٢) في معركة أحد هُزم المسلمون في أول الأمر، وقتل حمزة بن عبد المطلب؛ عم رسول الله ﷺ، ثم جاء النصر بعد ذلك؛ وفي معركة الأبيض قُتل من الأنصار في أول المعركة عدد كبير كما استشهد محمد وعبد الله؛ شقيقا الإمام المهدي، ثم جاء النصر بعد ذلك.

(٣) عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة؛ ترك لناقته العنان حتى بركت في المكان الذي بنى عليه مسجده، وبجوار المسجد بنى بيته، ودفن في الغرفة التي مات فيها؛ وعندما حرَّر الإمام المهدي الخرطوم؛ خرج منها وترك لناقته العنان فبركت في أم درمان؛ وفي المكان الذي بركت فيه بنى مسجده، وأقام بيته بجوار المسجد، ودفن في الغرفة التي توفي فيها.

(٤) لما فتح رسول الله ﷺ مكة؛ دخلها دخول المتواضعين؛ حتى أن لحيته كانت تلامس سرج ناقته! خافضـًا رأسه لله الذي أكرمه بهذا الفتح المبين، وأذلَّ

أعداءه؛ فلم يدفعه ذلك إلى الغرور؛ بل زاده تواضعاً على تواضعه، وشكراً لله على نعمائه، وفيما يتعلق بالإمام المهدي فقد روى الشيخ بابكر بدري في كتابه (حياتي) "أن الإمام المهدي بعد فتح الخرطوم؛ خرج منها إلى أم درمان وفي اليوم التالي عاد إلى الخرطوم متفقداً أحوال الأسرى فأطلق سراحهم وأعاد النساء إلى أهليهن، ومن ليس لها زوج زوجها". يقول الشيخ بابكر بدري "وأدركت الإمام المهدي صلاة المغرب في القصر الذي كنا نقيم فيه؛ فتقدم يصلي بنا وقرأ قوله تعالى من سورة القصص: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٥١] فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨] سقط مغشياً عليه(١)! فقد كان يعيش بكل حواسه مع القرآن، لا مع نشوة النصر، فلم يغُرُّه الفتح! ولكنه رأى ما حل بأعداء الله. وتطابقت الآية مع الواقع حتى كأنها أنزلت الآن! فاعتبر وخشع لله القائل: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

إن أدلة تصديق المهدية كثيرة لمن فتح الله بصيرته وعرفه بالحقيقة، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] ومع ذلك فإن المنكرين موجودون، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] قال العالم المصري

(١)حياتي تأليف الشيخ بابكر بدري

الشيخ أحمد العوام: "فإن شمس المهدية قد سطعت على البلاد، ظهور الشمس في رابعة النهار، فما خفيت ولن تخفى على ذوي البصائر والأبصار، وأشرقت الأرض بنور ربها وهرع إليها المهاجرون والأنصار"، وقد علق على كلامه عالم المهدية الشيخ الحسين إبراهيم الزهراء بقوله: "ما أحلى موقع قوله: "ولن تخفى على ذوي البصائر والأبصار"[١] وأورد كلام السيد أحمد بن إدريس عن ظهور المهدي قائلا: " وحقيقة هذا السيد (يقصد الإمام المهدي) قد خفيت على فحول الرجال. يؤيد ذلك ما جاء في رسالة الولي الشهير العالم النحرير السيد أحمد بن إدريس المغربي المختصة بذكر المهدي عليه السلام؛ حيث قال فيها: "لقد اطلعت على أربع عشر رسالة لأهل الكشف، وكلها أخطأت ولم تصب المرمى، وغاية ما يمكنني أن أقول فيه إنه عليه السلام لا يأتيكم إلا بغتة، من جهة لا تعرفونها، وعلى حالة تنكرونها، وإنه ليقفو أثر النبي ﷺ ولا يخطئ، يعني يتبع الشريعة المطهرة شبراً بشبر، ولا يتقيد في أحكامه بين الناس بمذهب دون آخر"[٢] وقد أشار الإمام المهدي نفسه إلى أن أمر المهدية عسير على فهم كثير من العلماء ناهيك عن عامة الناس؛ حيث قال في إحدى منشوراته: "ولا يخفى عليكم أن العلماء ينكرون كثيراً من أمور المهدي؛ لأنه ليس على معتقدهم الذي يظنونه، ولأنه يخالف مذاهبهم، ومما يخبركم بعدم معلومية عين المهدي للعلماء؛ اختلاف الروايات وكثرة الأقوال عن أهل الكشف.

---

(١) عالم المهدية الحسين إبراهيم زهرا وأعماله؛ تأليف البروفسير محمد إبراهيم أبو سليم صفحة (١٩٩) الطبعة الأولى (١٩٩٩م) المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

(٢) المصدر السابق صفحة (١٩٩- ٢٠١).

والمعلوم أن علم الله في أزله لا يكون على هذه الروايات الكثيرة؛ التي منها الحديث المقطوع، والموضوع، والضعيف، والمنسوخ، بل الحديث الصحيح ينسخ الحديث الصحيح، كما أن الآيات تنسخها الآيات، ويمحو الله ما يشاء ويثبت. والتصديق بأمر المهدي صعب لا يتوفق له إلا من أدركه الله بسابق سعادة"[١] وقال في مقام آخر: "وإن قلتم إن مهديتنا مكذوبة؛ فاعلموا أن التكذيب إنما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف المخلوق، ويستعجز قدرة الله"[٢].

اعتر افات الأوروبيين بعطاء المهدي وتفوقه

وقد اعترف أعداؤه المستعمرون بتفرده وفضله؛ وأذكر ما قاله أربعة منهم:

الأول: "بيرون فارويل" في كتابه باللغة الإنجليزية "سجناء المهدي" قال: "نبت المهدي من طين النيل ورغم أنه لم يبعد عن شواطئه لأكثر من مائتي ميلاً (يقصد في تحركه الأول) إلا أنه نجح في تحدي سطوة بريطانيا العظمى، التي كانت وقتها أقوى أمة على وجه الأرض، ونجح أيضاً في أن يقتطع لنفسه مليوناً من الأميال المربعة من الإمبراطورية العثمانية الشاسعة، ليؤسس عليها أول دولة أفريقية حرة مستقلة، والوحيدة من نوعها التي انتزعت استقلالها من قوة أجنبية بفضل قوتها المسلحة وشجاعتها وقدرتها الخاصة، وبذلك أغضب المهدي الملكة فكتوريا وأوشك أن يسقط الحكومة البريطانية آنذاك، وجعل من الأوربيين عبيداً له! وهزم الجيش التركي المصري وأسس طريقة دينية. وفي

(١) الآثار الكاملة للإمام المهدي؛ المجلد الأول ص (١٨٧).
(٢) المرجع السابق ص (٤٠٤-٤٠٥).

الوقت الذي كانت فيه السيطرة التامة للبندقية والمدافع الرشاشة؛ تمكن فرسانه ومحاربوه من صد قوات العالم (المتحضر) باستعمال الرماح والسيوف والعزيمة والتصميم).

الثاني: "لورد فيتز موريس" عضو مجلس اللوردات البريطاني الذي قال بالحرف الواحد: "إنه منذ هلاك فرعون مصر في البحر الأحمر (أيام سيدنا موسى عليه السلام) لم تحدث كارثة مفاجئة وماحقة وساحقة ومدمرة تدميراً شاملاً مثل ما حدث لجيش الجنرال هيكس في صحارى كردفان على يد المهدي".

الثالث: "الكولونيل ستيوارت" الذي ذكر في تقريره بالحرف الواحد: "لدينا حكومة توفرت لها الذخيرة والعتاد والسلاح والمال والجنود ورغم ذلك هزمت شر هزيمة وأصابها الشلل التام بواسطة فقيه فقير وبسيط يسمونه "المهدي" وتساءل فكيف حدثت هذه الكارثة والنتيجة المفجعة؟ كيف بالله؟ لابد أن التدخل المباشر للإرادة الإلهية كان له يد في ذلك".

الرابع: الصحفي والكاتب البريطاني "فيرغوس نيكول" ألف كتاباً سماه (سيف الرسول مهدي السودان وموت الجنرال غردون) نشر في أكتوبر ٢٠٠٤م قال فيه: "إن استعراضي لحياة المهدي اتخذ مدخلاً موضوعياً يحاول تحليل حياة وشخصية ودوافع شخص غير عادي، رجل يمكن وصفه بدون مبالغة بأنه الأب الحقيقي للسودان الحديث؛ وهو من أكثر الشخصيات المؤثرة في التاريخ السوداني المعاصر"[1].

---

(١) المصدر كتاب المرحوم السيد علي المهدي المؤرخ والمربي والعارف بالله، لمؤلفه الدكتور =

شهادات العلماء المسلمين في الإمام المهدي

أشير إلى شهادات العلماء المسلمين عن الإمام المهدي ودعوته:

الشهادة الأولى: قال الأستاذ سعد محمد حسن: وبعد عرض لتعاليم المهدي وأقواله وأفعاله اختتم حديثه بالعبارة الآتية " ولا يسعنا في ختام حديثنا عن المهدي إلا أن نشيد بالأعمال العظيمة التي قام بها من أجل السودان في النواحي السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، حتى لَيُعَد محمد أحمد- بحق- خير من ادعى المهدي فلقد كان الرجل حريصا على تحرير بلاده من نير الاستعمار، كما كان حريصا على رفع مستواها الاقتصادي والخلقي وبناء مجتمع إسلامي صالح في السودان قائم إلى حد كبير على التعاليم التي أقامت المجتمع الإسلامي الأول: لقد وفق الرجل في كل ذلك توفيقا كبيرا(١).

الشهادة الثانية: قال د. عبد الودود شلبي عن المهدية: كانت حركة تمثلت فيها كل حركات الإصلاح في عصره (٢).

الشهادة الثالثة: قال الشيخ محمد أحمد بن إسماعيل: عن المهدي أنه كان عالمًا زاهداً مجاهداً حسن النسب صحيح عقيدة الولاء والبراء، حرر بلاده وأصلح حالها بأحكام الشريعة الإسلامية (٣).

= الصادق عوض بشير صفحة (٢٩-٣٠) الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

(١) سعد محمد حسن، المهدية في الإسلام، ص ٢٣٦.

(٢) الدكتور عبد الودود شلبي الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته – دار المعارف-القاهرة ١٩٧٩ ص (٢٤٨).

(٣) محمد احمد بن إسماعيل، المهدية حقيقة لا خرافة.

الشهادة الرابعة: قال الأستاذ عبد العليم عبد العظيم البستي: توفرت في المهدي صفات الزعامة المهدية إلى جانب نسبه إلى الأسرة الحسنية، وورعه وزهده. كان وديع النفس كريم الخصال مخلصاً في دعوته قوي الإيمان بالله، وبهذا الإيمان تمكن مع قلة من أتباعه أن يهزم جنود الأعداء المدربين المجندين بالسلاح ويحرر السودان وينشئ دولة الإسلام [١].

الشهادة الخامسة: قال د. محمد عمارة عن الدعوة المهدية: كانت سلفيتها تجديداً يتحدى التخلف العثماني ويعود بالأمة إلى حصنها العتيد الإسلام لتواجه التحدي الحضاري بجناحيه: العثماني المتخلف، والاستعماري الغربي التغريبي [٢] وقال أيضاً: وهي تؤكد في كل جوانبها أنها كانت واحدة من أبرز حركات اليقظة التي تصدت بها الأمة في السودان للتحديات التي فرضها عليها أعداؤها في ذلك التاريخ [٣].

---

(١) عبد العليم عبد العظيم البستي الأحاديث المروية عن المهدي ، رسالة ماجستير بمكتبة الدراسات العليا – جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة .

(٢) د. محمد عمارة ، الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري ، ص (٤٢).

(٣) د. محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، ص (٢٨٢)، راجع أيضا كتابه العرب والتحدي ص (١٧٩).

هذه الشهادات الخمس مأخوذة من بحث بعنوان؛ عبدالرحمن الصادق إمام الدين قدمه الإمام الصادق المهدي؛ ونشرفي كتاب الإمام عبدالرحمن المهدي؛ مداولات الندوة العلمية للاحتفال المئوي؛ تحرير يوسف فضل حسن ومحمد إبراهيم أبو سليم والطيب ميرغني شكاك صفحة (٧١) الطبعة الأولى (٢٠٠٢م) = مكتبة مدبولي – القاهرة. مع ملاحظة أن شهادة الشيخ محمد أحمد بن إسماعيل قد سقطت في الكتاب وأخذتها من أصل البحث في مكتبة الإمام الصادق المهدي.

الشهادة السادسة: قال الشيخ فتحي يكن: كان المهدي صاحبَ حركة إصلاحية، ورسالة دينية، ولم يكن رجلَ دنيا أو طالب ملك أو سلطة، وقد أكَّد ذلك في كثير من رسائله، فهو المهدي خليفةُ رسول الله، أراد الله له ذلك، فعليه أن يقوم بإصلاح المسلمين وردهم إلى دينهم. ونهض لهذا العِبْء: فبذل في سبيله كلَّ ما وهبه الله من قوة وجهد، وسلك في إصلاح المسلمين كل طريق، ففتح بذلك باب تجديد واجتهاد وإصلاح؛ وربَّى فئات من أصحابه تربيةً إسلاميةً عِمادُها الاخلاص في الجهاد، والزهد في الدنيا، وكان لذلك أثرٌ بعيدُ المدى في حياة السودان الاجتماعية (١).

(١) الموسوعة الحركية بإشراف فتحي يكن، تراجم إسلامية من القرن الرابع عشر الهجري، المجلد الأول الصفحات (٢٢٩-٢٣٥) الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م مؤسسة الرسالة - بيروت شارع سوريا -بناية صمدي وصالحة، إعداد -جمع -وتحقيق مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية.

الفصل الثالث

تعريف الأنصارية

أولاً: الإسلام درجات

إنّ الإسلام هو دين الله الذي أنزله لهداية البشر، ولكن التزام الناس به متفاوتـًا بين الإسلام الظاهري، والإيمان، والإحسان؛ ويوضح معالم كل درجة هذا الحديث النبوي الشريف: عن عمر ابن الخطاب ﵁ قال: (بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد! حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ ـ قال رسول الله ﷺ : "الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" قال: صدقت! قال عمر: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال صدقت! قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. .)[1] والقرآن الكريم

---

(١) رواه البخاري.

أكد هذا المعنى وأقر هذا التقسيم؛ قال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ [الحجرات: ١٤].

فالإسلام هو: الإقرار بالشهادتين والنطق بهما، والالتزام الظاهري بالقواعد، والإيمان: درجة أعلى يتمثل في الالتزام الكامل بتعاليم الإسلام وتوجيهاته قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [العصر: ٣]، والإحسان: درجة أعمق؛ والأنصارية هي الإحسان الذي وصفه رسول الله في حديثه مع جبريل عليه السلام، فالله سبحانه وتعالى طلب من المؤمنين بأن يكونوا أنصاراً له، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾ [الصف: ١٤] والإمام المهدي عليه السلام الذي جدد شباب الإسلام في السودان؛ أخبر به رسول الله ﷺ، فقد روى أبو داود بسنده أنه ﷺ قال: (لو لم يبق في الدنيا إلا يوم؛ لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني؛ أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي؛ يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجوراً)(١) وجاء الإمام المهدي مستوفيًا للشروط المذكورة في الحديث، ووحد السودان بعد أن كان يقوم على دويلات قبلية، وصحح العقيدة الإسلامية من الشوائب التي أُلْحِقَت بها، وأقام مجتمعًا أشبه بمجتمع المدينة، بعد أن طرد الاستعمار وطهر البلاد من دنسه، وجدد التدين وأحيا أحكام الإسلام وطبقها في الحياة الخاصة والعامة.

---

(١) رواه أبوداود.

لقد سمى الإمام المهدي أصحابه "الأنصار" استجابة للآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] وتيمنًا بأصحاب رسول الله ﷺ الذين نصروه في المدينة.

إنّ الأنصارية تعني الانتصار لدين الله سبحانه وتعالى في كل الأمور والأحوال؛ في النفس وما تملك، وفي كل أوجه الحياة؛ بحيث تكون حركات الإنسان وسكناته ومواقفه؛ كلها لله رب العالمين قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

إنّ الأنصارية دعوة للإنسان للسير في طريق الحق وفق أمر الله؛ بالصدق، والإخلاص، والتجرد؛ حتى يصل مرحلة يتذوق فيها حلاوة الإيمان. قال الإمام المهدي عليه السلام في الراتب: "وَذَوِّقْنا يا رب حلاوةَ الإيمان بك، وصَفِّ سَرَائِرَنا حتى نُدْرك حلاوة القرآن".

لقد وَفَّقت الأنصارية بين علم الحقيقة وعلم الشريعة؛ حيث التزمت بأحكام الشريعة مستندة على الكتاب والسنة؛ وربطتها بالمقاصد والغايات.

إنّ الأنصارية في حقيقتها؛ توفيقٌ رائعٌ بين الشريعة والحقيقة، وبين العقل والنقل، وبين مطالب الروح ومطالب الجسد، وبين عالم الدنيا وعالم الآخرة؛ إنّها دعوة للتعمق الإيماني، والتأمل في الكتاب المسطور [القرآن] والكتاب المنظور [الكون]. إنها دعوة للصفاء والوفاء والصدق، والاخلاص في القول والعمل، إنها دعوة تنقل الانسان من الوقوف عند المظاهر والشكليات؛ إلى التطلع إلى عالم الملكوت "فاجعل مَطْمَحَ قلوبنا إليك ولا تجعل نظرها إلى ما كان من عدم" إنها الرؤية الصحيحة للإسلام تقدمه للإنسانية بديلاً حضاريًا

ونظاماً اجتماعياً أعدل. "والمضمون الواضح لدعوة الإمام المهدي هو إحياء الإسلام عن طريق الالتزام بالكتاب والسنة، ورفع التفرق مِن تَمَذْهُبٍ وَتَطَرُّقٍ، وتطبيق النصوص بفهم ملائم لظروف البيئة، وهذا الفهم المتفتح لأدلة الإسلام هو الذي تحيا به السنة"(١).

إن الانصارية تقوم على مرتكزات ثابتة وأهداف محددة ومنهج ملتزم بروح المرتكزات ومقتضيات الأهداف.

ثانياً: مرتكزات الأنصارية

(١) التوحيد:

إن الأساس الأول الذي اتفقت عليه كل الرسالات السماوية هو توحيد الله وإفراده بالعبادة، وقد ركز رسول الله ﷺ مدة ثلاثة عشر عاماً في مكة على تصحيح العقيدة وإقامة جماعة موحدة لله سبحانه وتعالى، وقد حدد معالم التوحيد في حديثه لابن عباس: (يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة كلها لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)(٢).

لقد جاء الإمام المهدي وصحّح العقيدة من الشوائب التي لحقت بها،

---

(١) يسألونك عن المهدية صفحة (٦٨) مرجع سابق.

(٢) رواه الترمذي.

وأخرج التوحيد من القوالب الفلسفية التي أدخل فيها، وقدم التوحيد مبسطاً مفهوماً كما نزل به الوحي وبينه رسول الله ﷺ، فقال الإمام المهدي: (اعلموا أن أصل التوحيد الشهادتان؛ وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله يتضمنها سورة الإخلاص. . . مع معرفة معانيها تكفي من دون احتياج إلى غيرها) (١).

والتوحيد عند أنصار الله ليس كلاماً يُحْفَظُ -فحسب- وإنما هو يقين يثمر سلوكاً؛ وليس ألفاظا معقدة ومصطلحات مبهمة، وإنما هو التزام بالمفاهيم العقدية الواردة في القرآن الكريم، فبعد أن ذكر الإمام المهدي قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] قال: "وإني أشهد بما شهد الله به وملائكته وأولو العلم، وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم أنت الواحد الذي بيدك الغائب والشاهد، فثبت شهادتي هذه على ما يرضيك، ونورها بنورك الذي نورت به شهادة الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين، واجعل لي من حظ اليقين كما أعطيتهم من الرسوخ في التمكين؛ حتى لا يتزلزل يقيني بالرياح العواصف، واجعله ملكة لا تزول وعلى القلب بالنور عاكف، يا من بيده كل شيء فسامحني فيما جنيت به في التعدي على الحق اليقين، ومكني في الإيمان والتوحيد بكامل التمكين، واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة؛ فإني ضعيف عن القيام بها وعن حفظها أقل من ساعة، فيا من إليه الضراعة، ويا من بيده كل شفاعة؛ احفظ وديعتي هذه بفضلك، بحرمة من أذنت له في

(١) كتاب العبادات للإمام المهدي صفحة (١٤).

الشفاعة؛ حتى لا تكون لي شبهة، ولا وَهْمٌ، ولا أدنى حِطَّةٍ عن كمال نور التوحيد والإيمان". إنه توحيد يزداد بالتفكر في آيات الله والاعتبار بها ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤] بهذا التوحيد انتصر أصحاب رسول الله على عدوهم؛ فقد عرفوا الله حق معرفته، ووحدوه توحيدا يليق به.

ومن كان هذا حاله لا يخشى إلا الله، ولا يعتمد إلا عليه، وهو على يقين أن الأمر كله لله. ويستوي عنده التِّبْرُ والتراب، فعندما حاصر الأعداء الجزيرة أبا لضرب الإمام وأصحابه؛ جاء بعض الأنصار إلى الإمام المهدي عليه السلام فقالوا له: يا مهدي الله؛ إن الترك معهم السلاح الناري ونحن ليس معنا شيء منه. فقال لهم: "والله والله إن قَوِيَ يقينكم إن أشرتم بأدنى قشة تنقضي حاجتكم"(١)؛ فصار الحطب والعشب في أيديهم سلاحا حاربوا به العدو وكان مؤثرا بشهادة من حضر تلك المعركة. وهذا يشبه تماماً ما حدث للصحابي الجليل عكاشة بن محصن عندما انكسر سيفه في غزوة بدر فجاء إلى رسول الله ﷺ فأعطاه عوداً فصار في يده سلاحاً فقاتل به طيلة حياته حتى استشهد في معركة اليمامة (٢)، والعلماء أكدوا أن كل من كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي باستثناء ما

(١) أنظر منشورات المهدية للدكتور محمد إبراهيم أبو سليم صفحة (١٤) وسعادة المستهدي صفحة (١٢٧).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٩٨).

اختص به الأنبياء حصرا. فالتوحيد عند أنصار الله ليس كلاماً تلوكه الألسنة، وليس حديثاً تنطق به الشفاه فحسب، وليس نصوصاً تحفظ دون عمل، وليس إثارة لشبهات تبلبل بها الأفكار، وإنما هو إيمان راسخ لا يتزعزع، يثمر التزاماً بمبادئ الإسلام وتعاليمه. قال ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)(١) فلما قرأ الإمام المهدي عليه السلام قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤] قال: "اللهم اجعل صدق ذلك في قلوبنا كما أنطقت به ألسنتنا؛ حتى يكون توكلنا عليك صادقاً وإنابتنا إليك تحقيقاً؛ فلا مصير لنا إلا إليك، ولا تجعل قلوبنا مخالفة لأقوال ألسنتنا؛ بل نسألك أن تزيد صدق الجنان، حتى يتفجر منه الصدق على نطق اللسان؛ فتكثر الصالحات في قلوبنا وتوفق أعضاءنا على ما يرضيك"(٢).

(٢) الالتزام بالكتاب والسنة أصلاً للحياة الخاصة والعامة:

إن من مرتكزات الدعوة الأنصارية الالتزام بالكتاب والسنة؛ ومعنى هذا أن تكون كل أنشطة الأنصاري قائمة على الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧]. والمهدية ما قامت إلا لإحياء الكتاب والسنة في حياة الناس الخاصة والعامة، وقد طبقهما الإمام

(١) رواه البخاري.

(٢) راتب الإمام المهدي؛ صفحة (٥٢- ٥٣) الطبعة الماسية التعليمية الأولى (٢٠٠٨م) إعداد وطبع عبد الماجد يحيى محمد.

المهدي عليه السلام تطبيقاً محكماً في نفسه، وفي خاصته، وعلى نطاق الدولة؛ ويلاحظ المطلع على منشوراته وكل مخاطباته؛ أن القرآن والسنة كانا حاضرين بنصهما وروحهما في كل ما يصدر عنه، وكان التزامه بهما التزاماً صارماً، وحمل أصحابه على ذلك وقال متضرعا إلى ربه: "ونسألك اللهم بحق خَفِيِّ لُطْفِكَ، وبحق ظاهر عطفك، وبحق اصطفائك لأوليائك، وتقريبك لأنبيائك؛ أن تهب لنا حلاوة القرآن، وأن تبين لنا المعنى فيه أحسن البيان، وأن توفقنا على العمل بما فيه يا رحمن، وأن لا تسلط علينا الغفلة عنه والنسيان، وذكرنا بما فيه من عظيم التبيان"(١) وقال: "واجعلنا وأصحابنا على أثر نبيك ﷺ وأصحابه الكرام، ولا تزغ بنا عن سكتهم إلى أن نلقاك سالمين من الآثام"(٢) اتباعا لقوله ﷺ: (تركت فيكم أيها الناس؛ ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه)(٣) فالأنصارية تعني الالتزام الصارم بأحكام الإسلام الواردة في الكتاب والسنة؛ لأن صلاح المؤمن في الدنيا؛ وفلاحه في الآخرة؛ مُتَوَقِّفَانِ على الاستقامة على النهج الذي جاء به القرآن، وبينته السنة المطهرة.

إن تعاليم الإسلام الملزمة؛ جاءت حصراً في قطعيات الكتاب والسنة؛ فواجب على المسلم أن يتعرف عليها، ويضبط حياته وفق توجيهاتها، فالأنصارية هي الالتزام الكامل بالكتاب والسنة؛ لأن القرآن هو المصدر الأول، والسنة هي المصدر الثاني للتشريع في الإسلام. ومُجَدِّدُ الدعوة كرر أكثر من مرة

---

(١) الراتب صفحة (٦١-٦٢).

(٢) دعاء صلاة القيام للإمام المهدي؛ الراتب الطبعة الماسية صفحة (٩٤) مصدر سابق.

(٣) أخرجه الحاكم.

أنه عبد مأمورٌ بإحياء الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيما.

(٣) القيـادة:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٣] وأولو الأمر هم قادة الأمة العلماء المجاهدون المجتهدون الذين يقتدي بهم.

إن القيادة عند أنصار الله ضرورة لا يتم الواجب إلا بها؛ فأمر الدين من الأمور التي تحتاج إلى قيادة تتولى أمر التوجيه والإرشاد بشأنها، والقيادة يحتاج إليها المجتمع الراقي في كل شئونه؛ والتزاماً بالتوجيه النبوي: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)(١) فإن القيادة عند أنصار الله من ركائز الدعوة، وقد حدد الإمام المهدي عليه السلام شروط القيادة في هذه القاعدة الجامعة المانعة: "من تقلد بقلائد الدين ومالت إليه قلوب المسلمين"(٢) ومعنى ذلك أن يكون القائد مؤهلاً تأهيلاً كاملاً بالعلم والحكمة، والاستقامة، والشجاعة، والصبر على البلاء، وأن تختاره الأمة وترضى عنه، ففي خطاب لأحد الأمراء كتب إليه الإمام المهدي قائلاً: (إنه قد عُرِضَ علينا منك كتابٌ؛ تطلب فيه الإذن برفع راية لتكون [إماماً لأهلك] رغبةً فيما عند الله، لا لِعِلَّة في ذلك، وإنّ أهلك لِمَا نَدَبتَ نفسك إليه؛ هم موافقون، ولما طلبتَ راغبون، شكر الله سعيكم، وللخير وفقكم،

(١) رواه أبوداود.

(٢) الآثار الكاملة للإمام المهدي.

فعليكم بالموافقة، والتقوى، واتباع مِلَّة المصطفى ﷺ [والاهتداء] بمن هدى الله من المرسلين والأنبياء؛ لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] ولا بد من التمسك بالله تعالى في جميع الأحوال، وترك ما تميل إليه النفس وما تهواه من الآمال، لأنّ من [اكتفى] بالله كفاه، ولم ينظر لأحد سواه، ومن طلب غيره؛ فاته كل شيء، وأُعْقِبَ حسرة وندامة، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١] ولا بد من التجافي عن دار الغرور، والانابة إليه في كل الأمور، واتباع الحق والصواب، والتباعد عن الباطل والارتياب. ولا بد أيضًا من عدم القدوم على أمر حتى يُعْلم حكم الله فيه، وإن أشكل أمر فردوه إلينا لبيان الحكم فيه، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩]. فقد أجبنا ذلك وأَمَّرْناك على أهلك، وأُوصِيك أيها الأمير بنهج المصطفى ﷺ واقتفاء آثاره، مع الصدق والوفا، واختيار ما اختاره أنبياء الله وأمناء دينه الصالحون الأصفياء الأتقياء؛ من الجوع والفقر، مع الرضا والتسليم، والرغبة فيما عند الله؛ دون تَشَوُّفٍ إلى حب المال والرياسة، فإن إمارتنا هذه بشرط اتباع الكتاب والسنة والعمل بهما، فمن غَيَّر أو بدل فلا إمارة له)(١) وقد قال ﷺ: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم)(٢) والقيادة تتمثل وظيفتها في الهداية والإرشاد وقيادة الجماعة على الطريق المستقيم وهي وسيلة لسلوك المنهج

(١) في خطابه للحاج مرزوق بن محمد؛ الآثار الكاملة المجلد الأول صفحة (٢٤٢-٢٤٣).
(٢) رواه مسلم.

الصحيح.

قال الإمام عبد الرحمن: " لا يستطيع أحد أن يُمْسك بيد أحدٍ ويعرج به لله. ولكن الوسيلة يهديك ويرشدك ويدلك حتى يتنور قلبك، فإذا تنور قلب العبد تجلت فيه معرفة الله، وبمعرفته لله يوفق إلى صالح الأعمال، وبصالح الأعمال يصل الإنسان إلى الله "[١] وطاعة القيادة عند أنصار الله مشروطة بموافقتها لما جاء في الكتاب والسنة، والالتزام بالمبادئ التي بويعت عليها. قال الإمام: عبد الرحمن (أما إمامتي فمشروطة باقتفاء أثر الامام المهدى عليه السلام. يا إخواني: أقوالي وأفعالي وما آمركم به؛ أعرضوها على الكتاب والسنة، فإن وافقت الكتاب والسنة فاعملوا بها؛ وإلا فاضربوا بها عرض الحائط وابحثوا لكم عن طريق تصلون به إلى الله)[٢] ثم تلى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

إنّ القيادة عند الأنصار تستند في شرعيتها على الشورى المسنونة، ورضا الجماعة، والإلهام الصائب الذي تنتجه الاستخارة المشروعة. وجاءت البيعة متضمنة لهذه المعاني؛ فبيعة الامام المهدى عليه السلام؛ كانت كبيعة رسول الله في مضمونها عندما فتح مكة، ففي رسالة لاتباعه على سكة رسول الله ﷺ في صفر من عام ١٣٠١هـ قال الإمام المهدي: (يا أحبابي قد بايعتموني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تأتوا ببهتان، ولا تعصوني في معروف،

(١) عبدالرحمن الصادق إمام الدين صفحة (٨٧) مصدر سابق.
(٢) السابق صفحة (٨٨) بتصرف.

وعلى أنكم تختارون الآخرة؛ فلا تطلبون إلا ما عند الله، وأن تزهدوا الدنيا وتبذلوا أنفسكم وأموالكم في سبيل الله، وألا تفروا من الجهاد؛ رغبة فيما عند الله لا لرغبة الدنيا، ولا رياسة ولا ثناء)[١]. وبيعة الأئمة من بعده لا تخرج عن هذا المضمون، مراعاة لطبيعة كل مرحلة تطبيقًا للقاعدة الذهبية التي صاغها الإمام المهدي بقوله: "لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجل"[٢] وبعد المؤتمر الأول لهيئة شؤون الأنصار فى١٥ شوال ١٤٢٣هـ الموافق ١٩ديسمبر ٢٠٠٢م أَقَرَّ المؤتمر صيغة جديدة للبيعة تضمنت البيعتين السابقتين، وأضافت إليها معاني جديدة؛ وصيغتها كالآتي: " بايعناك على بيعة الإمام المؤسس الأول وخليفته، وبيعة الإمام المجدد الثاني وخليفتيه، بايعناك على قطعيات الشريعة، بايعناك على الشورى وحقوق الانسان، بايعناك على صلاح الدنيا وفلاح الآخرة، بايعناك على الطاعة المبصرة فيما يرضى الله ورسوله ونشهد الله على ذلك والله خير الشاهدين"[٣].

(٤) الجهـاد:

المرتكز الرابع من مرتكزات الدعوة الأنصارية "الجهاد" ومعناه في الإسلام هو بذل الوسع كله من أجل إعلاء كلمة الله؛ وهو ينطبق على كل مجهود يبذله الإنسان لتحقيق هذه الغاية، فمحاسبة النفس وكفها عن المحرمات جهاد،

---

(١) يسألونك عن المهدية؛ تأليف الإمام الصادق المهدي ص (٧٤) مطبعة جرير.

(٢) ابو سليم : الآثار الكاملة للإمام المهدي : الجزء الأول دار النشر جامعة الخرطوم.

(٣) نص البيعة التي بايعها الأنصار للإمام الصادق المهدي في مؤتمر السقاي ١٩ ديسمبر ٢٠٠٢م.

والصبر على المكاره والشدائد جهاد، والتزام الطاعات التي أمر بها الإسلام جهاد، والأنشطة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية المقصود بها إعلاء كلمة الله كلها تدخل في قائمة الجهاد. ومعنى ذلك أن كل أنشطة المسلم إذا كانت موافقة للشرع وخالصة لوجه الله تكون جهاداً في سبيل الله، وهذا معناه أنّ على الأنصاري أن يكون في جهاد دائم حتى يلقى الله. وأما الجهاد قتالاً فله أسبابه ومسوغاته الشرعية؛ ويعتبر استثناء لا أصلاً؛ **ويوجبه أمران:**

الأول: الرد على العدوان قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

والثاني: الظلم واحتلال الديار ومنع حرية الدعوة؛ ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠].

إنّ مغالبة النفس ومجاهدتها جزء من قدر الانسان، لقد خُلِق الإنسان في كَبَدٍ، وهو كادح إلى ربه كدحًا فملاقيه، فالمعاناة ضرورية للإنسان؛ لأنها تصقله وتظهر معدنه، وتروضه على مواجهة الصعاب. والأدب الأنصاري فيه ترحيب بالشدائد، واستعداد معنوي لملاقاتها؛ فقد جاء في الراتب: "واجعلنا ممن آثر التقوى والوفاق، والصبر على الشدائد والمَشَاق، رغبة في دوام القرب والتَّلاقِي وقَوِّ نورنا لِيَهُون علينا ذلك، واجعل لنا قوة منك على تَحَمُّل ما يرضيك، والقيام

به رغبة فيما عندك يا قادر يا كريم يا رزاق"[1] قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] إنّ الدعوات لا تنتصر بالأفكار المجردة، والأماني العاطلة، وإنما تنتصر بالمجاهدات والتضحيات.

(٥) الجذور والأغوار الروحية:

المرتكز الخامس من مرتكزات الدعوة الأنصارية، الاعتناء بالجانب الروحي؛ فالإنسان مخلوق مركب من جسد وروح، وقيمته ليست في جسده وإنما القيمة للنفس، إنَّ الأبعاد الروحية لها أهمية كبيرة في الإسلام؛ فالإيمان نفسه غيبي، والاتصال بالله سبحانه وتعالى يكون عن طريق الرياضات الروحية، المتمثلة في العبادة والذكر والدعاء والتأمل؛ والمعرفة تكتسب بالتقوى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] والعبادات لها مقاصد إيمانية وسلوكية واجتماعية. إن ربط أنشطة الإنسان بالغايات الاجتماعية، والروحية، مع مراعاة المقاصد؛ يكسبها حيوية، ويجعل لها أثراً ملموسًا في الحياة، فالصلاة مقترنة بمقصد ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وهي صلة بين العبد وربه فأقرب ما يكون العبد إلى ربه عندما يكون ساجدا، وقال عز وجل في الحديث القدسي:

---

(١) راتب الإمام المهدي.

"إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يَسْتَطِل على خلقي، ولم يَبِتْ مُصِرّاً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب؛ ذلك نوره كنور الشمس؛ أكْلَؤُه بِعِزَّتِي، وأستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة[1]. والزكاة: تزكية للنفس وطهارة للأموال وإظهار لصدق العبد، ولذلك سميت صدقة، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣] والإنسان في الغالب يكون حريصاً على نفسه وحريصاً على أمواله؛ وبمقتضى الإيمان فقد اشتراهما الله قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴾ [التوبة: ١١١] والحقيقة هي أنّ المال مال الله، والإنسان مستخلف فيه، وهو وسيلة لتحقيق مطالب الإنسان وفق مقاصد الشرع الحنيف، والإنسان المؤمن مطالب بالإنفاق في سبيل الله ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ ﴾ [الحديد: ٧] والكسب الذي ينفق منه يجب أن يكون مشروعاً وطيباً. . قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧] وقال ﷺ: "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين؛ فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) رواه البزار؛ حديث ضعيف.

ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر؛ أشعث أغبر؛ يمد يديه إلى السماء؛ يا رب، يا رب؛ ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام؛ فأنّى يستجاب له"!!(١)، فالزكاة إذن؛ وسيلةُ تهذيبٍ وتطهيرٍ للنفس الإنسانية، ونوعٌ من أنواع التكافل في المجتمع الإسلامي. والصوم امتناع من المباحات في وقت معلوم؛ تشبهاً بالملائكة، وتقرباً لله سبحانه وتعالى. إنّه حرمان للجسد من بعض مطالبه، تطلعاً للسمو الروحي، فالإنسان ليس لحماً وعظماً وكفى، وإنما هو مخلوق مكرم؛ فيه قبضة من طين، وقبس من روح الله:

يا خادم الجسم كم تَشْقى لخدمته أَتَطْلُب الرِّبْحَ مما فيه خُسران
أَقْبِل على النَّفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان (٢)

فالصوم يكبح جماح النفس الإنسانية ويسمو بها إلى حيث:

قُلُوبُ العاشقين لها عيونٌ تَرَى ما لا يراه النَّاظِرون
وأجنحةٌ تَطِير بغير خَفْقٍ إلى مَلكوت ربِّ العالمين (٣)

إنَّ الصيام وسيلة من وسائل الإسلام لمحاربة الانحرافات الإنسانية، قال ﷺ: "فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سَابَّهُ أحد أو شاتمه فليقل إني صائم"(٤).

---

(١) رواه مسلم.
(٢) قصيدة أبي الفتح البستي.
(٣) من قصيدة الحلاج.
(٤) رواه البخاري.

والحج سياحة روحية ومادية إلى حيث نادى إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فالحج عبادة يتساوى فيها الناس في زيهم ويقفون جميعًا على عرفات موقفا أشبه بالموقف العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وللحج مقاصد وغايات قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ ﴾ [البقرة: ١٩٧] إنّ عبادات الإسلام إذا رُبِطَتْ بمقاصدها حققت أغراضها وفاعليتها وحيويتها، إنها مثل طائر في سرب لا يجوز فصلها عن بقية أركان المجتمع الإسلامي ووسائله.

هذا الفهم بِبُعْدَيه؛ العملي الظاهري، والذوقي الباطني؛ يسميه العارفون "الشريعة والحقيقة" فقد يطلقون الشريعة ويعنون بها الأمر بالتزام العبودية، ويقولون: الحقيقة، ويعنون بها: مشاهدة الربوبية؛ بمعنى أنه تعالى هو الفاعل في كل شيء، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق، والشريعة أن تعبده، والحقيقة شهود لما قضى أن تشهده. والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شريعة أيضا من حيث أن المعرفة به سبحانه وتعالى وجبت أيضا بأمره"[1] ولذلك قال الإمام المهدي في تضرعه لربه: " فلا توقفنا مع رؤية

(١)لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام؛ معجم ألفبائي في الاصطلاحات والإشارات الصوفية؛ تأليف العلامة العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرزاق بن أحمد بن محمد القاشاني المتوفى سنة (٧٣٠هـ) ص(٢٥٨) تحقيق وضبط وتعليق الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الزرقاوي. الطبعة الأولى (٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

الطاعات والدعوات، ولا مع النظر إلى شيء من كافة المخلوقات؛ بل أخرجنا إليك راضين بك ومؤثرين لك على كل شيء" وقال: "فعرفنا بالحقيقة يا ذا الكرم"(١)

ثالثاً: معالم التجديد في الحركة المهدية

معظم الدراسات في مجال إصلاح الفقه ركزت على الجانب النظري، وهو مهم لتوضيح المنهج المتبع في هذا الخصوص من الناحية التأصيلية، ولكن الجانب العملي هو المقصود - خاصة بالنسبة لعامة المسلمين لأن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط على حد تعبير ابن القيم، فإذا كانت علوم اللغة تهدف إلى تقويم اللسان، وعلوم التجويد تهدف لقراءة القرآن قراءة صحيحة؛ فإنّ علوم الفقه غايتها أن يستقيم أمر الناس في الدنيا على هدي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وذلك بإقامة نموذج واقعي لأحكام الدين في حياتهم الخاصة والعامة، وسيرة الرسول ﷺ كانت تطبيقًا عمليًا لأحكام الإسلام، وسيرة الخلفاء الراشدين التي تجلَّت في أوضح صورة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه - بسبب طول مدة خلافته مقارنة مع بقية الخلفاء، واستقرار عهده وشهادة الرسول ﷺ له بأنه من المحدثين (الملهمين) ونزول كثير من آيات القرآن مطابقة لأقواله- ؛ فخلافته كانت تطبيقًا عمليًا للإصلاحات الفقهية في التعامل مع المستجدات التي واجهتهم؛ وتجربة المهدية في السودان في مجال الاصلاحات الفقهية على مستوى التجديد والتطبيق كانت مشابهة للتطبيقات العمرية.

---

(١) الراتب

لقد قامت الدعوة المهدية في السودان؛ استجابة لتطلعات أهل القبلة في وقتها؛ فالقرن الرابع عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي؛ كان عصر التحرك الإصلاحي في العالم الإسلامي؛ فالحركة الوهابية في نجد، والحركة الفودية حركة الشيخ عثمان بن فوديو في غرب أفريقيا، والحركة الأفغانية نسبة لجمال الدين الأفغاني في الأستانة ومصر، واجتهادات محمد عبده ورشيد رضا، والحركة المهدية في السودان؛ في جملتها تهدف إلى تحقيق الإصلاح الديني؛ قال د. عبد الودود شلبي عن المهدية في السودان: " كانت حركة تمثلت فيها كل حركات الإصلاح في عصرها"(١). وبعيداً عن الجدل حول المهدية إثباتاً ونفياً وشروطاً وتوقيتاً؛ فإن المهدية حققت في أرض الواقع الآتي:

أولاً: العودة إلى العمل بالكتاب والسنة؛ فالتنوع المذهبي وصل إلى درجة التعصب في الفترة التي سبقت المهدية مما أدى إلى تعطيل الاجتهاد، وأصبح الفقهاء عاجزين عن مواجهة المستجدات؛ فأعادت المهدية العمل إلى الأصل؛ الكتاب والسنة وتجاوز ماعدا ذلك من اجتهادات البشر؛ الذين اجتهدوا وفق ظروف زمانهم، وحققوا إنجازاً عظيماً، ولكن مستجدات الحياة لا تتوقف، فلا يجوز التمسك بآراء السابقين إذا تعارضت مع أحوال زماننا. وحجة الإمام المهدي في ذلك؛ أن المذاهب جاءت باجتهاد أئمتها، وإنها بالتالي عرضة إلى الخطأ بحكم أنها اجتهاد بشري، ولأن ما جاء بالاجتهاد قد لا يستقيم إذا تغير الظرف عن ظرف إمام المذهب عندما نظر في الأمر في زمانه. وإذا كانت قاعدته

(١) الدكتور عبد الودود شلبي الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته – دار المعارف– القاهرة ١٩٧٩ ص (٢٤٨).

هي العودة إلى إسلام عهد الرسول والخلفاء الراشدين؛ فإن المنطق يدعو إلى إلغاء المذاهب والطرق؛ لأنها جاءت بعد هذا العهد، وقد فرقت المذاهب الناس إلى فرق، وتعصب كل فريق لمذهبه، ووقع الانقسام والعداء بين المسلمين، وقد جاء هو لتوحيد المسلمين على القرآن والسنة (١).

ثانيـًا: توحيد أهل القبلة؛ لقد عملت المهدية على تجميع الحق الذي تفَرَّق عند الجماعات والطوائف الإسلامية؛ فاعترفت بأهمية العقيدة وتصحيحها من الشوائب التي ألحقت بها، وهي القاعدة التي قامت على أساسها الحركة السلفية. وأكدت أهمية الوحدة الإسلامية لمواجهة الاستعمار الأجنبي، والغزو الثقافي، وهو الأساس الذي قامت عليه حركة جمال الدين الأفغاني، ودعت المسلمين إلى الجهاد لطرد المستعمرين، وإقامة الدولة الإسلامية على نهج الصدر الأول، وهو الشعار الذي رفعته حركة الشيخ عثمان دان فوديو في غرب أفريقيا، وأكدت أهمية التزكية الفردية، عن طريق الإخلاص والمراقبة والذكر وربط العبادات بغاياتها الذوقية والعرفانية؛ وهو الأساس الذي قام عليه التصوف. وبينت أهمية القيادة الدينية لإرشاد الأمة ولتطبيق أحكام الإسلام، وهي القاعدة التي قامت عليها الحركة الشيعية، والمهدية في هذا الجانب اتفقت مع الشيعة في المبدأ واختلفت معهم في حصر القيادة في أسرة معينة؛ وأن الإمام نُصِّب من قبل الله بلا دليل مقنع، ودون أن يكون للمسلمين دور في اختياره،

(١) بروفيسور محمد ابراهيم أبو سليم ، الخصومة في مهدية السودان ، كتاب في تاريخ فكرة المهدية إسلاميا وسودانيا، ص ٢٠٤ إصدارات مركز أبو سليم للدراسات، الطبعة الأولى – الخرطوم ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

وكذلك اختلفت معهم في موضوع العصمة لغير رسول الله ﷺ. كما حددت شروطًا للقيادة توضحها قاعدة "من تقلد بقلائد الدين [التأهيل] ومالت إليه قلوب المسلمين [الاختيار] وهو المبدأ الذي يقول به الاباضية (١).

ثالثًا: الاجتهاد لمواجهة المستجدات؛ قدمت المهدية اجتهاداً جديداً فيما يتعلق بالمستجدات يقوم على قاعدة "لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال" فأَحْيَتْ فريضة الجهاد لمواجهة المستعمر، وحرمت التبغ ومشتقاته، وتعاملت مع ملكية الأرض بمبدأ تحقيق المصلحة العامة، وصادرت أموال المسرفين وأحالتها إلى بيت المال، وتعاملت مع غير المسلمين من المواطنين السودانيين بفقه المواطنة وليس بفقه عهد الذمة، وأقامت دولة إسلامية لها تشريعها المستمد من الكتاب والسنة والاجتهاد، ولها عملتها وبيت مالها وسياستها الخارجية التي تتماشى مع أهدافها الأممية.

(١) التنوع في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ودور الشورى في إدارته– دراسة مقارنة رسالة ماجستير نالها الباحث من جامعة أم درمان الإسلامية ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

الفصل الرابع

منهج الأنصارية

أهداف ومعالم المنهج الأنصاري

إن أهداف الدعوة الأنصارية حددها الإمام المهدي في منشور وجهه للأمراء والخلفاء وكافة الأنصار، جاء فيه: " فإن من شروط المهدية اتفاق كلمة الجيش كما هو شأن الجهاد، وإياكم والحسد؛ فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. وتأَسَّوْا برسول الله ﷺ في الصبر، والثبات، والألفة، والرحمة، والمودة، والاتفاق. وكونوا أشداء على الكفار رحماء بينكم. وتعاونوا على البر والتقوى، وعليكم بتقوى الله والمحافظة على الصلوات في أوقاتها المفروضة؛ بأذان، وإقامة، وإمام راتب في جميع الأوقات. وعليكم بالسمع والطاعة لأمر الله ورسوله، وما يأمركم به أمير الجيش، وكل من سبقت له خلافة منا لإقامة الدين؛ فليتفق هو والخلفاء والأمراء السابقين، كما كان عليه الأنبياء والمرسلون، مادام القصد تقويم الدين فقط والدار الآخرة، فإنّ خلافتنا هذه على شرط الاتباع للكتاب والسنة والعمل بهما؛ وعلو الهمة في الجهاد في سبيل الله، مع الصفا، والوفاء، واقتفاء آثار المصطفى ﷺ. فمن غَيَّر أو بدّل فلا خلافة له؛ لأنّ ما يفسده أكثر مما يصلحه. وأوصيك أيها الخليفة بتقوى الله وعدم الظلم لعباد الله. ولا تُقْدم على أمر حتى تعلم حكم الله فيه. وليكن قصدك إقامة الدين لوجه الله،

دون تَشَوُّف إلى حب المال والجاه والرئاسة؛ فإنهما ينزعان الإيمان وينبتان النفاق كما ورد به الخبر، فاتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١).

إن هدف الدعوة المهدية هو إقامة الدين باتباع نهج المرسلين وإصلاح المجتمع وفق ذلك.

وقد جدد الإمام عبد الرحمن آليات الدعوة، وميَّز بين الأصول الثابتة والوسائل المتغيرة؛ وبمراجعة مسيرة الدعوة الأنصارية في مراحلها المختلفة؛ فإن أهدافها تتمثل في الآتي:

١-السعي لتحقيق الإحياء الإسلامي في كافة المجالات؛ على أساس أن الانسان خُلق للقيام بأمر الاستخلاف في الأرض.

٢-العمل على تصحيح المفاهيم؛ بإبراز مبادئ الإسلام ومقومات الدعوة الصحيحة؛ وتَبْيِين أنها تقوم على الشمول، والاعتدال، والوسطية في الفهم والمعتقد والممارسة.

٣-نشر الوعي بالاختلاف الاجتهادي بين المسلمين؛ وتوضيح أنه اختلاف تَنَوُّع لا اختلاف تصادم.

٤-بسط روح التسامح والتواصل والتعايش السلمي بين الأديان، والثقافات، والحضارات؛ على أساس المشترك الإنساني.

---

(١) الآثار الكاملة المجلد الأول صفحة (٢٠٧- ٢٠٨) في رسالته إلى قبيلة باقرما وبرتي وكافة قبيلة القاضي موسى بمنطقة الفاشر.

٥-غرس الروح الوطنية في نفوس ووجدان الأمة السودانية؛ المتميزة بقيم التسامح والبطولة والإباء والكرامة.

٦-ترسيخ ثقافة حقوق الانسان وحرياته الأساسية؛ على أساس التكريم الإلهي لبنى آدم.

٧-السعي لإقامة مجتمع إسلامي؛ صحيح العقيدة، سليم العبادة، مُتَحَلِّيًا بمكارم الأخلاق، ملتزمًا بمنهج الله الذي من أجله خُلِقَ الإنسان؛ ليكون هذا المجتمع نموذجًا تقتدي به الإنسانية.

٨-التطلع لنيل رضى الله سبحانه وتعالى؛ الذي خلق الانسان من عدم وأحاطه بالنعم من بين يديه ومن خلفه، وجعل له الأرض ذلولا يمشي في مناكبها ويأكل من رزق الله.

إنَّ الإحياء الإسلامي المنشود؛ لا يتحقق إلا بمنهج واضح محدد المعالم؛ ومنهج الأنصار في الدعوة يقوم على الآتي:

(أ) **الفهم الصحيح للإسلام**: لقد جاء الإسلام دينًا خاتمًا للرسالات السماوية السابقة؛ متضمنًا لأصولها ومعترفًا بنسبتها لله، فالدين واحد هو الإسلام؛ جاء به كل المرسلين؛ والاختلاف إنما هو اختلاف في الشرائع مراعاة لاختلاف الزمان، وتغير ظروف المكان، ومواكبة للتطور الذي حدث في مسيرة الإنسان. . قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى: ١٣].

والمجتمع الإنساني مَرَّ بنفس المراحل التي يمر بها المولود: مرحلة

الطفولة، ثم مرحلة الشباب، ثم مرحلة اكتمال العقل. فلما وصلت البشرية مرحلة النضج؛ جاءتها رسالة الإسلام الخاتمة.

وفي منهج الأنصارية؛ أن الإسلام جاء ملبياً لكل حاجات الإنسان المشروعة، ومستجيباً لكل مطالبه: الروحية، والمادية، والعقلية، والخلقية، والمعرفية، والذوقية، والفنية، والرياضية، والاجتماعية، وعلاقته بالبيئة. فليس هنالك تناقض بين الفطرة السليمة وبين الإسلام، لأن الإسلام نفسه دين الفطرة ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]. كما أن الإسلام احترم العقل وجعله شرطاً في التكليف؛ وجعل حكمه ضابطاً للفهم الصحيح، عن عبد الملك بن سعيد بن سويد عن أبي حميد وأبي أسيد أن النبي ﷺ قال: "إذا سمعتم الحديث عني؛ تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم، وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب؛ فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني؛ تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم، وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد؛ فأنا أبعدكم منه"(١). إنه دين أقر بالمطالب الإنسانية الضرورية، وأباح للإنسان إشباع حاجاته الغريزية؛ بصورة منضبطة ومتوازنة، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

لقد كرم الإسلام الإنسان تكريماً لم يجده في أي دين آخر؛ فهو مكرم لمجرد إنسانيته بغض النظر عن عقيدته، أو لونه، أو عرقه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ

(١) مسند الإمام أحمد والطبقات الكبرى لابن سعد.

كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

إن الإسلام لم ينزل ليفرض على الناس مفاهيمه بالقوة بل ترك للإنسان حرية الاختيار ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف: ٢٩] والرسول ﷺ تنحصر مهمته في البلاغ فحسب؛ وليس عليه أن يفرض الإسلام على الناس قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩] وقال: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فالحرية شرط أساسي في التكليف فلا قيمة للحساب إذا لم يكن المحاسب حراً؛ ولا يملك أحد في الدنيا حق توزيع صكوك الغفران على الناس أو الحكم عليهم بدخول الجنة أو النار. . إن هذا الحق يملكه الله سبحانه وتعالى وحده إن شاء غفر لهم جميعـًا وإن شاء عذبهم جميعـًا وإن شاء أدخل بعضهم الجنة وبعضهم النار.

والإسلام ساوى بين الناس في الدنيا في الحقوق والواجبات، وهم أمام القانون والشرع سواء؛ فلا أفضلية لإنسان على آخر في هذه الحياة بسبب اللون، أو الجنس، أو العرق، أو الدين؛ والأفضلية تكون غداً عند الله علام الغيوب قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

إن الخطوة الأولى للبعث الإسلامي هي الفهم الصحيح للإسلام وتقديمه للناس كما أنزله الله بأسلوب حكيم مجرد من الغرض وخالٍ من التنفير قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

(ب) الفهم الصحيح لطبيعة الاختلاف بين المسلمين:

المدرسة الأنصارية ترى أن الاختلاف بين أهل القبلة اختلاف تنوع؛ وأهل القبلة هم كل من نطق بالشهادتين وآمن بالبعث، وأقر بتعاليم الإسلام على الجملة، عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ صَلى صلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلا تَخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ) (١).

والناس تتفاوت درجاتهم في الالتزام؛ فالمطلوب هو الالتزام بالأصول، ولا يضير اختلاف الاجتهادات في الفروع ما دامت كلها تصب في مصلحة الإسلام والمسلمين.

إنّ الاختلافات الفكرية، والمذهبية، والسياسية، ضرورة؛ لأن الحقيقة الكاملة لا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى؛ وقد وَزَّعها على عباده بنسب متفاوتة؛ ليتكاملوا حتى وهم يتصارعون.

فالاختلاف نفسه ليس عيبًا، وإنما العيب هو أن يتحول الاختلاف بين المسلمين إلى تعصب واتهام المخالف بالكفر والزندقة؛ لمجرد المخالفة في الرأي.

إنّ أنصار الله يعتبرون الاختلاف بين المسلمين في الفروع هو اختلاف تنوع وليس اختلاف تصادم؛ وتوجد أسباب موضوعية لوقوعه منها الآتي:

---

(١) أخرجه البخاري.

• نزول القرآن الكريم بروايات مختلفة؛ وعلى ضوئها تختلف بعض المعاني والأحكام مثل: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦] قرأ ابن عامر (فتثبَّتوا) بدل (فتبينوا) وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ [المائدة: ٦] قرأ أبو عمرو الدوري (وأَرْجُلِكُم) بِجَرِّ اللام وهذا الاختلاف في حركة اللام أدى إلى اختلاف في الحكم من الغسل إلى المسح.

• عدم تفسير الرسول ﷺ للقرآن كله؛ حيث ترك ذلك لاجتهاد العلماء لإعمال عقولهم وفق مقاصد الشريعة.

• السنة واختلاف العلماء حول سندها وفقهها توسيعًا وتضييقًا؛ وتفاوت الأحاديث بين الصحة والضعف.

• إقرار الرسول ﷺ للاجتهاد: فعندما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال له (كيف تقضى إذا عرض عليك أمر؟ قال بكتاب الله، قال فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال بسنة رسول الله، قال فالم تجد في سنة رسول الله؟ قال اجتهد رأيي ولا آلو، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدر معاذ وقال: الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضى رسول الله) (١).

• مصادر التشريع الفرعية والاختلاف حول ترتيبها؛ ومنهج علماء الأصول فيها توسيعًا وتضييقا.

---

(١) رواه أبوداود.

- اختلاف البلدان والبيئات، والأزمنة واختلاف الفتوى تبعًا لها.

إضافة لهذه الأسباب هناك أسباب أخرى ساهمت في تعدد المدارس الفكرية والمذهبية في ديار الإسلام.

إن التعدد في الكون مطلوب لتبادل المنافع وللتوازن في الحياة، والرسول ﷺ في عهده تعددت أراء أصحابه فأقرهم عليها والوحي ينزل، فقد اختلفوا فيما يفعلون بأسرى بدر، واختلفوا حول صلاة العصر في بني قريظة، وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: (أرحم هذه الأمة بها أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقضاهم علي بن طالب، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأبو هريرة وعاء من العلم، وسلمان عالم لا يدرك، ومعاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر)(١).

فالاختلاف ضرورة لاستيعاب الاجتهادات وتنوعها في كل جزئية من الجزئيات قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

إن الواقع الذي تعيشه أمتنا هو نتاج طبيعي للعقلية الفكرية والثقافية

---

(١)٣٠ أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٦/ ٢٠١) والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ١١٨) والعقيلي في الضعفاء (٢/ ١٥٩). الخضراء السماء . المختار (١٣٩) المصدر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدى الخلفاء الراشدين. إعداد خديجة النبراوي المجلد الثاني (١٠٨٥).

والسياسية التي سادت في أقطارنا بعد الانقطاع عن النموذج الرسالي؛ الذي جسده رسول الله ﷺ، وخلفاؤه الراشدون في أرض الواقع؛ فكيف نفهم مآلات رسالة جاءت بالسلام، والرحمة، والحرية، والكرامة، والعدل؛ أن يكون واقع أتباعها حروب، وقسوة، واستبداد، وضياع، وظلم، وتبعية؟!!

إن توحيد أهل القبلة لا يعني أن يكون فهم الناس متطابقًا في كل صغيرة وكبيرة؛ وإنما يعني اتفاقهم على رؤية شاملة **أهم معالمها الآتي**:

أولاً: التصور الشامل: لا شك أن الإسلام هو الدين الخاتم الذي جاء يحمل كلمة الله الأخيرة للبشرية، ودين هذا شأنه من الطبيعي أن يكون شاملاً لكل متطلبات الحياة، ويحمل علاجًا لكل المشكلات التي تواجه الإنسان؛ هذه المعاني أكدتها نصوص القرآن والسنة المحكمة، ولكن القراءة الخاطئة أنتجت مفاهيم خاطئة أقعدت بالأمة عن الفاعلية، وجمدت حيويتها، فالمطلوب مراجعة المفاهيم، المُثَبِّطة للهمم، والمستسلمة للواقع، والناهية عن التصدي للاستبداد؛ باعتباره قدراً محتومًا، والمنفرة عن الاهتمام بشئون الحياة الدنيا، والمصادمة للعلم، والمُلْغية لدور الإنسان في التغيير، والمُجَرمة للعقل واستنتاجاته.

الأمة محتاجة لتصور شامل؛ يجسد دين الفطرة، والعالمية والشهود، والختام والخلود قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

ثانيًا: الثوابت والمتغيرات: دين الإسلام جاء بتوحيد الله والعدل بين

الناس، وأحكامه جاءت منظمة لعلاقة الإنسان بربه، ولعلاقته بالكون الذي يعيش فيه، وهي علاقة واصلة بينه وبين أخيه الإنسان، وبالطبيعة ومظاهرها، وبالفضاء وتجلياته، وكل علاقة من هذه العلاقات لها طبيعتها وخصائصها؛ فالعلاقة بالله تنظمها أحكام ثابته غير معللة، والعلاقة مع الحياة تنظمها أحكام مرنة، وتتغير لتواكب حركة الحياة المتطورة، ولكن المناهج التعليمية والتربوية السائدة عممت الثوابت على الجميع؛ فعطلت العقول عن التدبر، والتفكر، والمقارنة؛ وهذا يناقض مقاصد الدين الخاتم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥] نحتاج إلى مراجعات في فقه الثوابت والمتغيرات لحسم الجدل ولتحديد منهج كل منهما.

ثالثًا: الواجب والواقع: أكد القرآن الكريم أن الإنسان مستخلف في الأرض؛ كما ورد في حوار الله مع الملائكة قبل خلق الإنسان؛ فالأحكام الشرعية لا تُطبق في فراغ وإنما يطبقها الإنسان وينزلها في الواقع الذي يعيش فيه، فالمطلوب معرفة الحكم الشرعي بكل تجلياته وهو الواجب، ومعرفة الحياة بكل مظاهرها وهو الواقع، والتوفيق بينهما بما يحقق مقاصد الدين ويعمر الكون لتجسيد وتحقيق الحكمة من الاستخلاف؛ نحتاج إلى مراجعات فقه الواجب والواقع لكي لا يحدث تناقض بينهما.

رابعًا: الدين والتَّدَيُّن: الدين الخاتم معصوم من القصور، والعبث، والنقائص؛ لأن الذي أنزله هو الله الواحد العليم الحكيم؛ الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، قال تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا

مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٥-١٠٦] فتعاليم الإسلام ونصوصه مقدسة ومعصومة؛ وأما تطبيق تلك التعاليم والأحكام فهو اجتهاد بشري؛ يحتمل الخطأ والصواب، فالدين مقدس، ولكن التدين غير معصوم.

خامسًا: فقه الدولة: من القضايا المطلوب مراجعتها؛ موضوع الدولة، وطبيعتها، وأهدافها، ونظمها، واختيار الحكام، ومحاسبتهم، وعلاقتهم بالمواطنين، وطبيعة الدستور الحاكم، وعلاقة الدولة مع العالم. . . الخ، لأن الدولة الحديثة تختلف شكلاً وجوهراً عن الدولة التي نظَّر لها الفقهاء قديمًا.

سادسًا: العلاقة مع الآخر: الآخر يشمل المخالف في الاجتهاد، والمختلف في الملة، والمختلف في الوطن، والمختلف في الثقافة. الخ.

إن فقه التعامل مع الآخر يحتاج إلى مراجعة تستند إلى الأصول المحكمة، والمقاصد، وفقه التوازن؛ لتعزيز المشترك الإنساني.

سابعًا: فقه الأولويات: فقه الدعوة يبين أن الرسول الخاتم سيدنا محمد ﷺ؛ اهتم بالأولويات حسب طبيعة المخاطب؛ ويظهر هذا من فقه السيرة، فمنهج الدعوة في مكة التزم أسلوبًا معينًا، ووصيته للدعاة حثَّت على الأولويات، ومنهجه في المدينة راعى أولويات المجتمع المتعدد الديانات. وهكذا.

الشريعة الإلهية شريعة تامة تستوعب جميع مجالات الحياة، ولم تقتصر على الجانب العملي والتشريعي فقط؛ بل تشمل أيضًا الأسس النظرية، والاعتقادية، لفهم الوجود والحياة؛ والارتباط بالإسلام لا يمكن أنْ يقوم فقط

على إتباع الجانب التشريعي منه، والمرتبط بالموقف العملي فقط؛ بل يتوقف على الإيمان بمبادئه وأصوله الفكرية، والاعتقادية، بحيث يتم فهم الوجود وما يتصل به على أساس الرؤية العقائدية التي بينها الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفَصَّلَها القرآن الكريم.

إنّ توحيد فهم أهل القبلة على الأسس المذكورة؛ يجنب المسلمين كثيراً من المشاكل التي جرها عليهم التعصب، والجهل، وسوف يتهيأ المناخ للانطلاقة الإسلامية الكبرى بوعي وإدراك إن شاء الله.

(ج) مرجعية التشريع:

إنّ المدرسة الأنصارية تعتمد في مرجعيتها على الكتاب والسنة؛ باعتبارهما المصدرين الأساسيين للتشريع في الإسلام؛ قال الإمام المهدي عليه السلام: (إن الخير كله في تقوى الله، واتباع ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والاقتداء بمن هدى الله من الأنبياء والمرسلين، واقتفاء آثار السلف الصالحين، واعلموا أن من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، ومن أراد به خيرا بَصَّرَه بعيوب نفسه واستعمله في طاعته، والكَيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والسعيد من اتعظ بغيره، والأحمق من اتبع هواه واغتر بالأماني، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن من تمسك بالله كان الله له وكفاه من كل أحد سواه، ومن طلب غيره فاته كل شيء وأعقب عليه حسرة وندامة")[1].

(١) الآثار الكاملة للإمام المهدي، المجلد الأول ص (٤٥١).

والتشريع الإسلامي ما كان قطعي الورود وقطعي الدلالة؛ فهو ملزم لكل المسلمين، فالقرآن كله قطعي الورود، وآياته بعضها قطعية الدلالة وبعضها ظنية الدلالة؛ أي أنه كله موحى به من عند الله كلمة كلمة، وحرفًا حرفا؛ والآيات المحكمات هن أم الكتاب؛ وأما المتشابهات فتحتمل أكثر من معنى. والسنة ما جاءت عن طريق التواتر وثبتت صحة نسبتها إلى رسول الله؛ فهي قطعية الورود؛ وما لم تصح نسبتها إلى رسول الله تقاس على القرآن، والسيرة النبوية تعتبر ترجمة وتجسيداً عمليًا لتعاليم الإسلام.

إنَّ القرآن الكريم والحديث الصحيح والسيرة الثابتة؛ كلها مصادر للتشريع ملزمة، أما التفاسير، والاجتهادات الفقهية، والآراء الفكرية؛ التي قال بها العلماء؛ فهي للاستنارة، والاستصحاب، والاعتبار؛ فما كان منها أقرب إلى قطعيات الإسلام ومقاصده، ويتلاءم مع ظروف عصرنا؛ أخذنا به، وما كان مرتبطًا بزمن محدد، وأملته ظروف معينة، ولا يحقق المقصد الإسلامي المطلوب في عصرنا؛ تركناه، والأئمة المجتهدون أنفسهم حذروا من التقليد بدون دليل، ورفضوا أن يلزموا عامة المسلمين باجتهاداتهم.

وقد وضع الإمام المهدي عليه السلام في هذا المعنى القاعدة الذهبية التي تقول: "لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال"[1] فأنصار الله لا يتقيدون بمذهب معين وإنما مذهبهم الكتاب والسنة؛ التزاماً بقوله ﷺ: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي) [2].

(١) الآثار الكاملة للإمام المهدي ؛ المجلد الأول.
(٢) أخرجه مالك في الموطأ.

(د) التعامل مع غير المسلمين:

إنّ غير المسلمين إخوتنا في الإنسانية؛ وعليه فإن أنصار الله نهجهم في التعامل معهم يقوم على الآتي:

١- التعاون معهم في القضايا الإنسانية: مثل التصدي للكوارث الطبيعية والمجاعات، والمحافظة على البيئة، والتعاون لحفظ السلام والأمن، وتبادل المنافع معهم، والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم، والسند في ذلك هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨] ومعاملة الرسول ﷺ لهم؛ فقد روى علماء السيرة بسندهم: (أنه لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ؛ دخلوا عليه في مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ "دعوهم" فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم)(١).

٢-معاملتهم بالحسنى وعدم الإساءة إلى معتقداتهم مع الإقرار بانحرافها: فقد أمر الإسلام أن يجادَلوا بالتي هي أحسن بل نهى عن سب آلهة الوثنين قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

٣-اتخاذ أسلوب الحوار معهم: إن حجتنا هي الأقوى؛ فقد ورد ذكر رسول الله وصفاته في كتبهم وبشر به أنبياؤهم، وكتابنا نصه موحد ومتفق عليه من

---

(١) أنظر ابن هشام ١/ ٥٧٣، والسيرة لابن كثير٤/ ١٠٠- ١٠٨.

جميع المسلمين، ولا يوجد تناقض بين تعاليمه وبين الحقائق العلمية والمعارف الإنسانية التي توصّل إليها الإنسان، بينما كتبهم متعددة ومتناقضة ومنسوبة إلى مؤلفيها ولم تنسب لله! ورسولنا هو النبي الوحيد من بين المرسلين أوراقه الثبوتية معروفة؛ فأسرته من جهة الأب والأم معروفة، وتاريخ ميلاده ومكانه معروفان، وحاضنته ومرضعته معروفتان، ومعروف أين تربى؟ وأين مات؟ فسيرته كلها مدونة ومحققة، ولا يوجد تناقض بين المسلمين حول سيرته، فهذه الحجج الدامغة والمفاهيم الواضحة، تعطينا أقوى سند مقابل أطروحات الآخرين، فالحوار هو أفضل أسلوب للتعامل مع غير المسلمين ولنشر الإسلام بصفة عامة.

٤-التعايش معهم والتنافس سلميًا: إن الإسلام دين التسامح والاعتدال ومفاهيمه تعتمد على الحجة ومخاطبة العقول، عليه فإن أسلوب التعايش السلمي مع غير المسلمين هو الأجدى والأنفع للإسلام حيث تظهر حجته ويبرز منطقه أمام حجج الآخرين ومنطقهم.

(هـ) نظام الحكم في الإسلام:

الدولة الإسلامية، ودولة الاسلام، والخلافة، والامامة؛ مصطلحات: تعبر عن النظام السياسي في الإسلام، ومعلوم أنّ الإسلام جاء دينًا عامًّا؛ يوجّه حياة الفرد والجماعة، وفيه أحكام لا يمكن تطبيقها إلا في ظل دولة لها أجهزة قضائية، وعدلية؛ تملك سلطة تنفيذ الأحكام.

إنّ الأحكام الإسلامية؛ تنقسم إلى: عقائد، وعبادات، ومعاملات، فالعقائد والعبادات أحكامها توقيفية، أي منزلة وثابتة ومفصلة؛ لا يؤثر فيها تغيُّر الزمان

ولا اختلافات ظروف المكان، أما المعاملات فجاءت أحكامها التفصيلية محدودة، ومعظم أحكامها عامة، وهي في الغالب مبادئ توجيهية؛ تصلح لتعدد الأفهام، وقابلة للتطبيق المَرِن، على حسب ظروف الواقع واختلاف الزمان، والمراجع الفقهية فصَّلت أحكام العقائد والعبادات، وكذلك المعاملات المتعلقة بالأحوال الشخصية، والمعاملات الاقتصادية، والحدود، وغيرها من المعاملات التي لا يستغني عنها المجتمع، وأما الأحكام المتعلقة بالدولة والسلطة وهي تدخل في مجال السياسة الشرعية، فما كتب فيها نادر جداً، مقارنة بما كتب عن أحكام العبادات، وأشهر ما كتب قديمًا نجد كتاب "الأحكام السلطانية للماوردي" وهو أقدم كتاب كتب عن فقه الدولة في الإسلام، وفي العصور الوسطى ألَّف ابن القيم كتاب "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية" وفي العصر الحديث واجهت أمة الاسلام تحديات كبيرة فيما يتعلق بمفهوم الدولة في الاسلام، وطبيعتها، وكيفية اختيار الحكام، وتحديد مدة الحكم، وكيفية محاسبة الحكام وعزلهم، وأجهزة الدولة واختصاصاتها، وتنظيم العلاقة بينها.

هذه القضايا لم تجد إجابة شافية فيما كتب في هذا المجال، لأن طبيعة الأشياء والقضايا متجددة ومعقدة؛ لم يتوقعها سلفنا الصالح، عليه حاول العلماء والمفكرون المُحْدَثون أن يجيبوا على التساؤلات التي فرضها الواقع الجديد من داخل تعاليم الإسلام، واجتهدوا في هذا الجانب، وتباينت آراؤهم وأفكارهم: فبعضهم نفى وجود سلطة سياسية في الاسلام كما فعل الشيخ علي عبدالرازق في كتابه الإسلام وأصول الحكم، وبعضهم أكد أن سلطة الإسلام السياسية تتمثل في الخلافة بشكلها القديم كما يقول حزب التحرير، واستدل

علي ما يقول من النصوص والتجربة التاريخية، وبعضهم حاول التلفيق بين أحكام الإسلام والنظم الغربية الحديثة وهكذا. . والموقف الراجح عندي هو أن الإسلام وضع مبادئ عامة؛ تمثل فرائض الإسلام السياسية وهي: الحرية، والشورى، والعدل، والمساواة، والوفاء بالعهد. وترك للمسلمين تحديد الشكل الذي يناسبهم لتطبيق هذه الأحكام، وبرزت في الآونة الأخيرة تساؤلات أين الدولة الاسلامية التي بشر بها الدعاة؟ وهل التجارب التي قامت تعبر عن موقف الاسلام أم هي اجتهاد بشري قابل للخطأ والصواب؟ وهل من سبيل لقيام دولة إسلامية تُقدم بديلاً حضاريـًا ونظامـًا اجتماعيـًا أفضل؟ إنني في هذه الفقرة أُبَيِّن أنواع الدولة التي عرفها الانسان وموقف الاسلام منها؛ وأبين في النهاية موقف الدعوة الأنصارية من الدولة.

من مقاصد الشريعة الضرورية؛ حماية العقل من التغييب والتعطيل؛ لأن من شروط التكليف في الإسلام؛ سلامة العقل، وذهاب العقل قد يكون بتعاطي الخمور والمخدرات، وقد يكون بسبب التضليل وسيادة الخرافة والدجل والشعوذة، وقد يكون بالاعتقاد الفاسد والمنحرف. وعالِم الاجتماع الكواكبي قال: "إن الاستبداد يُحَوِّل مَيْل الأمة الطبيعي من طلب التَّرَقِّي إلى طلب التَّسَفُّل بحيث لو دُفِعت إلى الرِّفْعة لأَبَتْ وتَألمَّت كما يتألم الأجْهَر من النور"(١).

لقد تداول الكتاب مصطلحات الدولة الدينية، والدولة العلمانية، والدولة المدنية فما هي حقيقة كل مصطلح؟ ومرجعياته ومآلاته؟ وما هو المفهوم

(١) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد؛ تأليف عبدالرحمن الكواكبي.

الأقرب لظروفنا؟ مراعاة لمعتقداتنا، واستجابة لمطالب عصرنا؟

أولاً: الدولة الدينية: مفهوم السلطة الدينية؛ ارتبط بالمسيحية؛ فعندما تحالفت الكنيسة مع الدولة الرومانية أعطت أوامر الإمبراطور وتصرفاته؛ قدسية دينية؛ لا يجوز الاعتراض عليها أو مخالفتها، ومع مرور الزمن تبلور مفهوم الدولة الدينية في ظل المسيحية، وتجلت طبيعة تلك الدولة في المظاهر الآتية:

المظهر الأول: أن الحاكم يتولى السلطة بأمر من الله وليس باختيار الشعب؛ ويستمر فيها بإرادة الله، ولا يجوز الاعتراض على أحكامه وسياساته وتصرفاته، فهو يستمد شرعيّته من الله، ويحكم بالحق الإلهي، وهو نفس المعنى الذي ذهب إليه فرعون عندما قال: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

المظهر الثاني: سلطة رجال الدين: ارتبط قيام الدولة الدينية، بوجود رجال الدين؛ وهم يمثلون المعرفة المطلقة، والواسطة بين الله والناس، وأحكامهم مقدسة؛ بل يوزعون صكوك الغفران. ووقف رجال الدين ضد العلم، واستبعدوا وسائل المعرفة؛ العقلية، والتجريبية، وحاربوا العلماء؛ الذين جاءوا بمعارف تناقض قناعاتهم، واتخذوا الدين وسيلة لأكل أموال الناس بالباطل. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [التوبة: ٣٤].

المظهر الثالث: الاعتراف بدين واحد واستبعاد المعتقدات الأخرى؛ بل في ظل الدين الواحد لا يعترف إلا بمذهب واحد، ومحاربة أي اجتهاد مخالف.

المظهر الرابع: تَبَنِّي رجال الدين لمفاهيم تطرد الإنسان طرداً من الاعتقاد، مثل: عقيدة التثليث، والقول بطبيعة إلهية إنسانية للسيد المسيح؛ وتبرير ظلم الحكام بمفاهيم دينية؛ وإسقاط دور العقل؛ واستبشاع الجنس؛ واعطاء قدسية للسلطة الزمنية، والقول بالخطيئة الموروثة. الخ.

تلك هي خلفيات الدولة الدينية، وتلك هي طبيعتها ومظاهرها، وواضح أنها تتناقض مع المفاهيم الإسلامية حول الدولة شكلاً وموضوعـًا؛ فالسلطة في الإسلام ليست دينية؛ وإنما هي من اختيار البشر، والحاكم شرعيته مستمدة من إرادة الشعب، وأحكامه ومواقفه غير مقدسة؛ بل قابلة للنقض إذا خالفت الشرع. قال ﷺ: (لا طاعة لبشر في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف) (١).

فالدولة الدينية ظاهرة مسيحية لا وجود لها في مفاهيم الإسلام القطعية؛ لقد حاول بعض حكام بني أمية، وبعض العباسيين؛ إعطاء سلطتهم صبغة دينية، وتَسَمَّوْا بألقاب الحاكم بأمر الله، والناصر لدين الله؛ ولكنها استعمالات لا سند لها، ولا مرجعية لها في أحكام الإسلام، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو، ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا)(٢).

ثانيـًا: العلمانية: ظهرت العلمانية كرد فعل لمواقف رجال الدين السالبة؛ من العلم، ومن حرية الضمير، ومن العقل، ومن كرامة الإنسان؛ فقد توالت ردود الأفعال؛ ببروز مفاهيم العقلانية، والناسوتية، والمادية، ونظرية فرويد

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأبوداود والنسائي.
(٢) أخرجه البخاري.

حول الجنس، وغيرها من المفاهيم المتطرفة، ثم تبلورت كل هذه المواقف في ظاهرة العَلمانية "وهي بِفَتح العَين" نسبة إلى العالم لا إلى العلم.

كثيرٌ من الناس ينطقون "العِلمانية" بكسر العين؛ نسبة للعلم؛ وأرى أنها بفتح العين فهي منسوبة على غير قياس إلى العالَم؛ الزّماني والمكاني؛ وهي أقرب إلى الدَّهرية التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة الجاثية ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وقد عرفها أحد الفلاسفة المفكرين اسمه: "هارفي كوكس" بالآتي: "إنها إدارةُ قَفَا الإنسان من عوالم غيبية، ولَفْتِ نَظَره إلى هذا العالم وهذا الزمان، إنها طَرْدُ الغَيْبِيَّات من الطبيعة، وطرد القداسة من السياسة، وتحرير القِيَم من الجمود؛ وهي حركة تاريخية مستمرة؛ بموجبها يَرْتَقِي الإنسان من الطُّفولة الفكرية إلى النضج، ويَتَحَرَّر من الوِصاية؛ ليُصْبِح مسئولاً عن مصيره".

أما قاموس أكسفورد فجاء تعريفه كالآتي: "عَلْماني مُعْنىً بأمور هذا العالم، دُنْيَوِي، ليس مقدسًا، ليس كنسيا، دَهْري، مُتَشَكِّكٌ في حقائق الدين، رافضٌ للتعليم الديني"(١).

مما سبق يتضح أن العلمانية فيها جانب فلسفي: هو إنكار كل ما غاب عن عالم الشهادة الزماني والمكاني. وجانب موضوعي: هو عدم إعطاء قدسية للنظام الاجتماعي والسياسي، فاختزال العلمانية في مفهوم فصل الدين عن

(١) راجع نحو ثورة ثقافية للإمام الصادق المهدي.

السياسة؛ اختزال مُخِلّ لا يوضح حقيقتها.

الجانب الفلسفي من العلمانية؛ لم يجد قبولاً حتى في أوروبا؛ لأنه يصادم حقائق أثبتها العلم. فالوجود ليس مقتصراً على عالم الشهادة، فهنالك عالم الغيب يدركه كل المؤمنين، وأثبتت التجارب أن الإنسان ليس كتلة مادية صماء، وإنما هو كائن ذو وَعْيٍ وإرادة ويتأثر بالعوامل النفسية والروحية والوجدانية:

كأن عِدَّة أرواحٍ تقوم به فليس يَهْدَأُ ولا تَهْدَأُ رَغَائِبُه

أما الجانب الموضوعي؛ فيمكن تحقيقه من داخل الإسلام، ولا يجوز إسقاط مفاهيم رجال الدين في القرون الوسطى على كل الأديان، فالإسلام لا يعترف برجال الدين أصلاً؛ بل نص بوضوح: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] والإسلام يحترم العقل بل جعله شرطًا في التكليف قال: ﷺ: (رُفِع القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ)(١).

والإسلام أقر مصادر المعرفة كلها: الدينية، والعقلية، والتجريبية، ولا يعرف الإسلام السلطة الدينية لغير الرسل؛ فيما يبلغونه عن الله، ولم يحدد الإسلام شكلاً معينًا للحكم؛ بل وضع مبادئ سياسية تتمثل في: الشورى، والعدل، والحرية، والمساواة، والوفاء بالعهد. وترك للمسلمين أن يختاروا الشكل الذي يُلائم ظروف زمانهم وأحوالهم، فالرسول ﷺ: لم يُخَلِّف أحداً، وأبو بكر خَلَّف عمر، وعمر ترك الأمر شورى بين أهل الحل والعقد، وبعد مقتل

(١) أخرجه الترمذي.

عثمان اجتمع أهل المدينة واختاروا علياً، فالأمر اجتهادي متروك للمسلمين ليحددوا الكيفية التي يختارون بها حكامهم وفق الظروف التي تلائم تطور مجتمعاتهم، ومشروع لهم أن يقتبسوا من تجارب الآخرين قال ﷺ: (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق الناس بها) (١).

إن الأسباب والمبررات؛ التي أدّت إلى بروز ظاهرة العلمانية في أوروبا؛ إبان سلطة رجال الدين؛ غير موجودة في الإسلام، ولكن تصرفات بعض المسلمين المنبهرين بالسلطة الدينية، -وهم في الغالب أصحاب نزعة تسلطية- تؤدي إلى المطالبة بالعلمانية، وانبهار العلمانيين بظاهرة العلمانية في أوروبا، ودعوتهم إلى تطبيقها في بلداننا يغذي ظاهرة التطرف الديني؛ فكل تطرف يغذي نقيضه قال المعري:

اثنان أهلُ الأرض ذو عقل بِلاَ دِينٍ وآخر دَيِّنٌ لاَعَقْلَ لَهْ

إنّ مُصْطَلَحَيْ الثِّيُوقْرَاطية والعلمانية؛ ولدا في ظروفٍ تختلف عن ظروفنا، وفي ظلِّ مفاهيم دينية تتصادم مع العلم والعقل وديننا يقول: ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] والمصطلحان يحملان ظلالاً فلسفية تجاوزتهما عقلية الإنسان المعاصر، والأسباب التي أدت إلى ظهورهما في الغرب غير موجودة في قطعيات الإسلام وإن وجدت في ممارسات بعض المسلمين فلا مبرر للدعوة إليهما في مجتمعات المسلمين، إنهما يُغَذِّيان الحرب الباردة بين العلمانيين والإسلاميين، وبين دعاة الحداثة ودعاة التأصيل؛ إنها

---

(١) أخرجه الترمذي.

حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل.

ثالثًا: الدولة المدنية: هي دولة تحافظ وتحمي كل أعضاء المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم القومية أو الدينية أو الفكرية؛ وأهم مبادئها أن تقوم على السلام والتسامح وقبول الآخر والمساواة في الحقوق والواجبات[١] إن أركان الدولة المدنية تتلخص في الآتي:

١-إقامة دستور يعبر عن قيم ومعتقدات وأعراف المواطنين؛ باختلاف انتماءاتهم الدينية والثقافية والعرقية.

٢-الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

٣-المواطنة هي أساس الحقوق والواجبات.

٤-عدم التمييز بين المواطنين بسبب الدين أو الثقافة أو العرق.

٥-كفالة حقوق الإنسان وحرياته الأساسية.

٦-الاعتراف بالتعددية واحترامها.

٧-الالتزام بالتداول السلمي للسلطة عبر الانتخابات الحرة القائمة على الأسس الديمقراطية الصحيحة.

٨-أن تستمد السلطة شرعيتها من اختيار الجماهير وتخضع للمحاسبة من قبل نواب الشعب.

---

(١) ماذا تعني الدولة المدنية ؛ أحمد زايد ؛ جريدة الشروق الجديد تاريخ النشر ٢٦ فبراير ٢٠١١م.

هذه المفاهيم أقرب إلى المبادئ الإسلامية السياسية، ولا تتناقض مع الفكر الإسلامي المستنير حول مفهوم الدولة في الإسلام، **ويتضح ذلك من الحقائق الآتية:**

الحقيقة الأولى: نَصَّت صحيفة المدينة؛ وهي أول دستور مكتوب في التاريخ الإنساني، على حقوق المواطنين المقيمين في يثرب، وعلاقتهم بالسلطة القائمة، وعلاقتهم مع بعضهم بعضـًا، وكان مجتمع المدينة يتكون من أربع فئات: المسلمين بحزبيهم، المهاجرين والأنصار، واليهود بطوائفهم الثلاث، والمشركين من الأعراب بقبائلهم، والمنافقين، فالصحيفة كانت دستوراً لدولة متعددة الأديان.

الحقيقة الثانية: قال الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ: (إنِّي وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فقوِّمُوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم) [١] وهذا يوضح أن السلطة مدنية تقوم على الشورى ورأي الجماعة.

الحقيقة الثالثة: الحاكم يختاره الشعب عبر الشورى التي تعتبر الفريضة السياسية في الإسلام، ويخضع للمحاسبة، فإن خالف عُزِل قال ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) [٢] وقال رجل لعمر بن الخطاب والله لو رأينا فيك اعوجاجـًا لقومناك بسيوفنا فقال عمر: (الحمد لله الذي جعل في أمة

(١) السيرة النبوية لابن هشام.
(٢) أخرجه أبو داود والحاكم.

محمد من يقوم عمر بسيفه) (١) وقال: (لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها) (٢) هذا يعني أن قرارات الحاكم غير مقدسة.

الحقيقة الرابعة: إن وظيفة الحاكم في الاسلام هي خدمة الشعب، ومهامه تتلخص في توفير الأمن والقوت والخدمات لشعبه، وأن يعمل من أجل مصلحة شعبه وترقية أوضاعهم، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (والله الذي لا إله إلا هو ما أحد إلا وله في هذا المال حق. وليؤتين الراعي نصيبه من هذا المال وهو بجبل صنعاء ودمه في وجهه) (٣).

الحقيقة الخامسة: علاقة الدولة بالدول الأخرى تقوم على الاحترام المتبادل والالتزام بالعهود والمواثيق قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

الحقيقة السادسة: توفير العدل والمساواة لكل المواطنين؛ فلا يجوز الانحياز لأحدهم بسبب دينه، فعندما سرق أحد المسلمين -يسمى طعمة بن أبيرق-في عهد رسول الله ﷺ درعًا وأراد قومه أن يُلحقوا الجريمة بأحد اليهود بحجة أنه لا حرمة لليهودي! أنزل الله قرآنًا ينصف اليهودي ويدين المسلم! ويحذر المسلمين من عاقبة الظلم قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥] إلى قوله

---

(١) راجع تاريخ الخلفاء لابن الجوزي وابن الهيثمي في مجمع الزوائد والحافظ ابن عساكر.
(٢) راجع كتاب الخراج لأبي يوسف صفحة (١٢).
(٣) السابق صفحة (٢٦-٢٧).

تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

الحقيقة السابعة: كفالة حقوق الإنسان وحرياته الأساسية قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ [النساء: ٥٨].

إن الدولة المدنية تحقق مقاصد الشرع، وتستصحب إيجابيات العلمانية، وتلبي تطلعات المجتمع المتعدد الأديان، والثقافات، والإثنيات، علينا أن نسقط من قاموسنا السياسي المصطلحات الفلسفية التي تؤدي إلى استقطاب حاد في المجتمع، فالتمسك بالألفاظ دَيْدَن عبدة النصوص والشكليات، ولا نستنكف من اتباع الحق مهما كان الوعاء الذي خرج منه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

إنّ نظام الحكم في الإسلام؛ يقوم سياسيًا على الشورى، والحرية، والعدالة، والمساواة، والوفاء بالعهد، واقتصاديًا على الإنتاج، والعدالة في توزيع الثروة، وتحريم الاستغلال، وتحريم الربا، والكسب دون جهد، ويقوم اجتماعيًا؛ على الإخاء، والرعاية، والتكافل، والتعاون، والتراحم.

إن النظام الذي يقوم على النيابة في الحكم، والفصل بين السلطات التشريعية، والتنفيذية، والقضائية؛ ويسمح بتداول السلطة سلميًا، ويحقق

الرقابة على المسئولين والحكام، ويسائلهم، ويحاسبهم على تصرفاتهم؛ هو النظام الراشد للحكم؛ عليه فإنَّ الأنصار يرون أن النظام الذي يحقق تلك المبادئ في هذا العصر؛ هو النظام الديمقراطي، فالديمقراطية كآلية للحكم بهذا الفهم؛ تحقق مبادئ الإسلام في الحكم وفي ظلها يقوم نظامه المنشود؛ ولذلك فإنّ أنصار الله يعترفون بالديمقراطية، ويقرونها، ويرون أنها لا تتعارض مع الإسلام بل تحقق مقاصده.

(و) المرأة والتعامل معها:

كانت المرأة قبل الإسلام مهضومة الحقوق ومضطهدة من المجتمع؛ فمكانها في مؤخرة المنزل، وكانت تُورَث من ضمن المال! وليس لها حق ملكية أي شيء حتى نفسها، وكانت تدفن وهي طفلة حية مخافة العار في المستقبل! وكان الرجل إذا أنجبت زوجته بنتًا هجرها وابتعد عنها قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

جاء الإسلام وأبطل كل تلك المفاهيم والعادات؛ وحقق للمرأة كرامتها، وإنسانيتها، وأنزل سورة تسمى سورة النساء وغيرها من السور التي تتناول شئونها.

لقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات؛ وأكد قائلاً: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] وخاطب الإسلام المرأة بأحكام الشريعة؛ كما خاطب الرجل قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ

وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] والمرأة مطالبة للدعوة للإسلام كما يدعو الرجل، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتسعى في كل شئون حياتها مثل التجارة، والصناعة، والزراعة، وجميع الأعمال التي تليق بها وبأنوثتها وتحفظ كرامتها، إنها الشِّق الآخر للنوع الإنساني، وهنالك نساء حفظ التاريخ أسماءهن مثل مريم، وخديجة، وعائشة، وفاطمة، وبلقيس، ورابعة العدوية، ورابحة الكنانية؛ التي قطعت الفيافي والصحاري على قدميها لتخبر الإمام المهدي عليه السلام بتحركات جيش العدو.

إنّ الأنصارية تحترم المرأة، وتعترف لها بحقوقها، وتدعوها للقيام بدورها الذي طلبه منها الشرع؛ فهي مكرمة أمـًا، وأختـًا، وبنتـًا، وزوجة، وعاملة؛ لقد أعطاها الإسلام الحق في التعليم، والحق في العمل، والقيام بالأنشطة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.

الفصل الخامس

الراتب

فضل الذكر وأهميته في الاسلام

الذكر في الإسلام له أهمية كبيرة؛ ولذلك حث عليه الله سبحانه وتعالى في كتابه حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]، وقال ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: ذكر الله) (١).

وذكر الله لا يقتصر على الدعاء باللسان، وإنما هو أعمق من ذلك، وأبلغ أنواع الذكر هو استحضار عظمة الله في القلب.

إنّ المواظبة على ذكر الله؛ تورث صفاء، وشفافية، وسمواً روحيـًا؛ بل ووصالاً واتصالاً، لقد جمع الإمام المهدي عليه السلام في وِرْده آياتٍ مختارة من القرآن والسنة؛ صِيغَت على نسق بديع، يمتاز بسلالة الأسلوب، وعمق المعاني،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧) واللفظ له وابن ماجة (٣٧٩٠) وأحمد (٦/ ٤٤٧) والراوي أبو الدرداء رضي الله عنه.

مع الأدب الرفيع؛ وسمي هذا الورد بالراتب، أي أنه مرتب بنظام من حيث الأدعية والأذكار والتوقيت، يقول الإمام الصادق المهدي عن الراتب: (إنه ديوان للمعاني الروحية الإسلامية، وجرعة مكونة من تلك المعاني ليتيسر تناولها والاهتداء بها) (١).

والراتب لا يقف عند حد الأدعية والابتهالات؛ بل إنه منهج تربوي يدعو إلى التضحية والفداء، إنه رؤية عميقة للكون والحياة، ووسيلة فعالة لتهيئة الإنسان ليعيش مع القرآن تدبراً وتفكراً والتزاماً؛ ومع رسول الله ﷺ حباً واقتداء، **وهنالك أحاديث كثيرة تحث على الذكر والدعاء في جماعة أذكر منها الآتي:**

الحديث الأول: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربعة) (٢).

الحديث الثاني: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (لأن أذكر الله تعالى من طلوع الشمس أُكَبِّرُ وَأُهَلِّلُ وَأُسَبِّحُ أحب إليَّ من أن أعتق أربعاً من ولد إسماعيل، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إليَّ من أن أعتق كذا وكذا من ولد إسماعيل)(٣).

---

(١) تقديم الإمام الصادق المهدي للراتب في شريط كاسيت مطبوع بصوت سيدنا عبدالله إسحاق.
(٢) أخرجه أبوداود في سننه (٣٦٦٧) وحسنه الألباني.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢١٨٥).

وفي رواية أخرى لأحمد في المسند أيضـًا برقم (٢٢١٩٤) (لأن أقعد أذكر الله وأكبره وأحمده وأسبحه وأهلله حتى تطلع الشمس أحب إليَّ من أن أعتق رقبتين أو أكثر من ولد إسماعيل، ومن بعد العصر حتى تغرب الشمس أحب إليَّ من أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل).

فبان بذلك أن الروايات مرة جاءت بلفظ (لأن أذكر الله) ومرة بلفظ (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى) وهذه الرواية؛ وهي رواية القعود مع الذاكرين "لإفادة أن بركة مجالس الذكر تحصل لمن شارك فيها، وجالس أهلها، حتى لو كانوا هم يذكرون الله، أو يتلون القرآن وهو يسمع منهم، ويغشى مجالسهم؛ فهم القوم لا يشقى جليسهم"(١).

الحديث الثالث: في فضل مجالس الذكر عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله ملائكة فُضُلاً، يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومـًا يذكرون الله تعالى تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم تعالى وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، قال فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تحميداً وتمجيداً، وأكثر لك تسبيحـًا، قال: فيقول: ما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: فيقول: هل رأوها؟، قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو أنهم

(١) ينظر مرعاة المفاتيح مشكاة المصابيح (٣/ ٣٢٧) عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري أبو الحسن.

رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، قال: فيقول: فمم يتعوذون؟ قال: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة، قال: يقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم)(١)

الحديث الرابع: عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على النبي ﷺ: أنه قال: (لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده) (٢).

الحديث الخامس: أخرج الحاكم عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا أجابهم الله) (٣).

الحديث السادس: أخرج الترمذي "إن دبر الصلاة من الأوقات التي تجاب فيها الدعوات" وهو من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال: (جوف الليل الأخير، ودبر الصلاة المكتوبة) قال الترمذي حسن صحيح (٤).

---

(١) رواه البخاري

(٢) رواه مسلم في باب "فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر" رقم (٢٧٠٠) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج؛ شرح الإمام النووي، صفحة (١٩٠١) دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) بيروت-لبنان.

(٣) راجع تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ؛ شرح الإمام الشوكاني ؛ صفحة (٦٨) طبعة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) دار الحديث القاهرة.

(٤) تحفة الذاكرين للإمام الشوكاني صفحة (٧٤).

فهذه الأحاديث تُبَيِّن فضل الذكر ومشروعية حلقات الذكر والدعاء الجماعي؛ وهي أحاديث صحيحة؛ فلنحرص على الدعاء والذكر لأنه يقربنا إلى الله سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى القائل: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢] إن من يطلع على راتب الإمام المهدي يجد فيه زبدة التصوف دون تطرق؛ ولا يجد فيه أي معنى يدل على أن صاحب الراتب يدّعي أنه ينفع أو يضر؛ بل على العكس من ذلك تجده يحقر نفسه وهو عبد ذليل لا يساوى أي شيء إن لم يتولاه ربه بالعناية.

وتوجد في الراتب سبعة معاني لا يتعداها:

١. الإنكسار أمام الله (فإني حقير أرجو من فضلك العظيم).
٢. آيات مختارة من القرآن الكريم.
٣. دعوات مأثورة عن الأنبياء والمرسلين.
٤. الاقتداء بسيدنا محمد ﷺ.
٥. تعظيم القرآن.
٦. تعبئة روحية للجهاد.
٧. دفع استحقاق هذه التعبئة الروحية على أساس الزهد في الدنيا والاستخفاف بها والخشوع في الصلوات والتشوق للقاء رب العالمين.

وهو تصوف دون تطرق؛ لأنه يعطيك مياهًا نقية مصفاة لتشرب منها؛ ولكن أنت من يفعل ذلك (١).

---

(١) الإمام الصادق المهدي في تقديمه للراتب.

ومن أراد الاستزادة في موضوع (الراتب) فليراجع الكتاب العظيم الذي ألّفه البروفيسور: موسى عبد الله حامد بعنوان "تبصرة وذكرى دراسة حول راتب الإمام المهدي عليه السلام" فإنه مفيد جدا.

الخاتمة

هذه محاولة للتعريف بالأنصارية ومعالم مدرستها، ومرتكزاتها وأهدافها، والمنهج الذي تتبعه لتحقيق أهدافها، وهى ليست دراسة أكاديمية، ولا بحثاً منهجياً، وإنما هي قناعات ومفاهيم؛ حاولت تسجيلها لينتفع بها القارئ، وهى موجهة للأنصار ولغيرهم من الباحثين عن الأنصارية؛ أرجو أن تفي بالغرض وتفتح الباب لكتاب آخرين بالتوسع في هذا المجال للتعريف بهذا الكيان الذي حرّر السودان في القرن التاسع عشر، وأوجد له كياناً قومياً، وحدد معالمه وحدوده الجغرافية، وظل وفيا لمبادئ الدين والوطن، متصديا لكل من يتلاعب بها من المستبدين، إنها دعوة للتعرف على الأنصارية بعيداً عن التأثير الاستعماري ودعوى ورثته، وروايات المغرضين.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب كل من قرأه وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ملحق

(أ) البرنامج اليومي للأنصاري:

- الصلوات الخمس في المسجد.
- قراءة ما تيسر من الراتب بعد الصبح وبعد العصر.
- قراءة ما تيسر من القرآن خلال اليوم.
- الالتزام بصلاة النوافل وخاصة الضحى.
- الالتزام بأذكار الأكل والشرب والخروج من المنزل والنوم ودخول المسجد والحمام. الخ.
- التحلي بمكارم الأخلاق.
- معاملة الناس بالحسنى واللين.
- تحري الكسب الحلال.
- محاسبة النفس قبل النوم والتوبة من الذنوب.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(ب) البرنامج الأسبوعي للأنصاري:

- الالتزام بقراءة جزء من القرآن مع التدبر.
- قراءة سورة الكهف ليلة الجمعة.
- الالتزام بحضور حلقة الراتب كاملة مرة (على الأقل في كل أسبوع).
- الالتزام بممارسة الرياضة ساعة على الأقل في الأسبوع.

- قراءة كتاب أو موضوع كل أسبوع.
- الالتزام بإعانة فقير أو مسكين أو يتيم ولو بكلمة طيبة.
- القيام بزيارة الأرحام والمرضى والأحباب خلال الأسبوع[١].

(١) هذا البرنامج مقترح من الكاتب استخلصه من مجموع الأدب الأنصاري؛ عقيدة وفكرا وسلوكا وتربية

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.

٢. كتب السنن والصحاح.

٣. تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عمادالدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة (٧٧٤هـ).

٤. السيرة النبوية لابن هشام

٥. موطأ الإمام مالك.

٦. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب؛ للإمام فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، التوفيقية الطبعة الثالثة (٢٠١٥م) القاهرة.

٧. المهدي وفقه أشراط الساعة؛ تأليف الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم الطبعة الثانية (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) الدار العالمية للنشر والتوزيع – الإسكندرية – جمهورية مصر العربية.

٨. الآثار الكاملة للدكتور محمد إبراهيم أبو سليم.

٩. الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر؛ حمود بن عبد الله التويجري.

١٠. البداية والنهاية لابن كثير.

١١. تاريخ الخلفاء لابن الجوزي.

١٢. جمع الزوائد لابن الهيثمي.

١٣. الخراج لأبي يوسف.

١٤. مرعاة المفاتيح مشكاة المصابيح عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري أبو الحسن.

١٥. المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج؛ شرح الإمام النووي دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) بيروت-لبنان.

١٦. تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين؛ شرح الإمام الشوكاني؛ طبعة (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) دار الحديث القاهرة.

١٧. سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي؛ تأليف إسماعيل عبد القادر الكردفاني؛ الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) دار الجيل – بيروت.

١٨. عالم المهدية الحسين إبراهيم زهرا وأعماله؛ تأليف البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم الطبعة الأولى (١٩٩٩م) المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

١٩. جغرافية وتاريخ السودان؛ نعوم شقير.

٢٠. يسألونك عن المهدية تأليف الإمام الصادق المهدي.

٢١. كتاب المرحوم السيد علي المهدي المؤرخ والمربي والعارف بالله لمؤلفه الدكتور الصادق عوض بشير الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

٢٢. الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته؛ الدكتور عبد الودود شلبي – دار المعارف -القاهرة ١٩٧٩.

٢٣. محمد احمد بن إسماعيل؛ المهدي حقيقة لا خرافة، القاهرة، مكتبة التربية الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م

٢٤. عبد العليم عبد العظيم البستي الأحاديث المروية عن المهدي، رسالة ماجستير بمكتبة الدراسات العليا – جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة.

٢٥. د. محمد عمارة، الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري.

٢٦. محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، القاهرة، دار الشروق، طبعة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

٢٧. الإمام عبد الرحمن المهدي؛ مداولات الندوة العلمية للاحتفال المئوي؛ تحرير يوسف فضل حسن ومحمد إبراهيم أبو سليم والطيب ميرغني شكاك.

٢٨. الموسوعة الحركية، بإشراف فتحي يكن، تراجم إسلامية من القرن الرابع عشر الهجري، المجلد الأول الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م مؤسسة الرسالة – بيروت شارع سوريا – بناية صمدي وصالحة، إعداد – جمع – وتحقيق مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية.

٢٩. كتاب العبادات للإمام المهدي.

٣٠. دلائل النبوة للبيهقي.

٣١. راتب الإمام المهدي؛ الطبعة الماسية التعليمية الأولى (٢٠٠٨م) إعداد وطبع عبد الماجد يحيى محمد.

٣٢. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد؛ تأليف عبد الرحمن الكواكبي.

٣٣. نحو ثورة ثقافية للإمام الصادق المهدي.

٣٤. ماذا تعني الدولة المدنية؛ أحمد زايد؛ جريدة الشروق الجديد تاريخ النشر ٢٦ فبراير ٢٠١١م.

٣٥. تقديم الإمام الصادق المهدي للراتب في شريط كاسيت مطبوع بصوت سيدنا عبد الله إسحاق. بدون تاريخ

٣٦. عبدالمحمود أبو، المنهج الإسلامي وإدارة التنوع – دراسة مقارنة، القاهرة، دار اللؤلؤة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٢٤م

فهرس المحتويات

إهداء ٥
مقدمة الطبعة السادسة ٨
مقدمة الطبعة الخامسة ٩
مقدمة الطبعة الرابعة ١١
مقدمة الطبعة الثالثة ١٢
مقدمة ١٦
تمهيد ٢٦
الفصل الأول: المهدية في الإسلام ٢٨
أولاً: تعريف بالمهدية ٢٨
ثانيـًا: الأحاديث الصحيحة الواردة في شأن المهدي ٣٣
ثالثـًا: المهدية والمدارس الإسلامية ٣٥
الفصل الثاني: المهدية في السودان ٣٧
نشأة وتصور المهدية في السودان ٣٧
اعترافات الأوروبيين بعطاء المهدي وتفوقه ٤٥
شهادات العلماء المسلمين في الإمام المهدي ٤٧
الفصل الثالث: تعريف الأنصارية ٥٠
أولاً: الإسلام درجات ٥٠

ثانياُ: مرتكزات الأنصارية..... ٥٣
ثالثاً: معالم التجديد في الحركة المهدية..... ٦٧
الفصل الرابع: منهج الأنصارية ٧١
أهداف ومعالم المنهج الأنصاري..... ٧١
الفصل الخامس: الراتب..... ٩٩
فضل الذكر وأهميته في الاسلام ٩٩
الخاتمة..... ١٠٥
ملحق ١٠٦
(أ) البرنامج اليومي للأنصاري:..... ١٠٦
(ب) البرنامج الأسبوعي للأنصاري: ١٠٦
المراجع والمصادر..... ١٠٨
فهرس المحتويات..... ١١٣